عبد اللطيف واكد

أقداح

ديوان شعر ونثر

١٩٥٣

كفرتُ بدنيا الناس لما وجدتُها ... تفيض رياء مدعماً بريا
وقلتُ لنفسي لم يَعُدْ غيرُ وحدَة ... نَلوذُ بها في عزلة تحرسا
فلا نسمعُ البهتانَ في قول مادح ... ولا الزور يأتينا من السفها
ولا يدّعي الباغون فضلا وحكمة ... ولا يُعلن الحبّ العميق مُراءِ
قد انعدم الإخلاص يا نفسُ . . فاعلمي ... وكوني على حذر من الخلصا
ولا تأملي خيراً من الناس كافة ... ولا تحلمي من آدمي بوفا

أول ديسمبر ١٩٥٣

عبد اللطيف واكد

للمؤلف :

الثغر الباسم

قصة ريفية

المطبعة الأهلية بالسفيلاوين (نقد) ١٩٣٣

أنين

الرسالة الأولى من رسائل شاعر

مطبعة الاصلاح بالقاهرة (نقد) ١٩٣٤

الدماء

الرسالة الثانية من رسائل شاعر

مطبعة التعارف بالقاهرة (نقد) ١٩٣٥

أغسطس

الرسالة الثالثة من رسائل شاعر

دار النشر الحديث — مجلى بالقاهرة (نقد) ١٩٣٧

قافلة الايام

مجموعة من القصص المصرى الحديث

[illegible]ون بالجيزة (نقد) ١٩٣٩

سيولا

تحت نير الاحتلال الايطالى

مطبعة شركة الشرق بالقاهرة — مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٤٦

تابع كتب المؤلف

مريوط

بحث فى منطقة مريوط والواحات

مطبعة المقتطف بالقاهرة ـ مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٤٨.

واحة آمون

بحث شامل لواحة سيوه

مطبعة المقتطف بالقاهرة ـ مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٤٩.

مدائن الصحراء

قصة عشرين مدينة من مدائن الصحراء الغربية

مطبعة الفكرة بالقاهرة ـ مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٥٠.

الصحراء

آفاق صالحة للاستثمار والزراعة

بالاشتراك مع المهندس حسن مرعى

شركة سليمة للطباعة بشبرا ـ مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٥٢.

أقداح

ديوان شعر ونثر

شركة سليمة للطباعة بشبرا ـ مكتبة الأنجلو شارع محمد بك فريد بالقاهرة ١٩٥٢.

الإهداء

إلى يومٍ يأتي نضجُ العمرِ ساهرةً
تملّي في وجوهِ شبيهِ سائلي
وتقرأهم إذا ما سرّني أملي

دنيالو كنتُ .. ولكنّي لبنانا علمي
لأنّ رمزي .. بيتُ دنيايَ فارغتي
إلّا من بخورِه، والشمعِ يأباه .. ولهبِ
أتاه .. كنتُ سطورَ خطّ قلمي
وعاد مجتمعاً وهو الفكرُ والقلمِ

الدرب

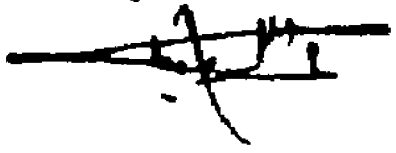

مقدّمة

أقداح

رأيتُ الزمان بكل صباح
يَكيل لكل وليـــد قدحْ
فهـــذا شراب من الشهد صاف
يُهيّ للنفس جـــو المرحْ
وذاك بصاب مرير المذاق
يرى كأسه كل يوم طفح
وليس المرير لمن لم يجدّ
ولا المستطاب لمن قد كدَح
ولكنه قـــدَر دائر ...
وليس له سبب قد وَضح
كذا جعـــل الدهر أقداحه
فبعض سرور .. وبعض تَرَحْ

نسيب الماضى

فى ثنايا الماضى .. فترات لامعة ، يملأ النفس بريقها الذى لا يخبو إلا بانطفاء سراج الحياة .. ! !

وهذه السويعات اللوامع .. يسجلها كل على طريقته ، وبالصورة التى يحب أن يراها عليها ، إذا ما استرجعها ، وعاد بخاطره إليها . . !

فالموسيقى .. يسكبها فى لحن رائع ، يعزفه على قيثاره كلما شاقته رؤياها .. والرسام يفزع إلى أصباغه مستنجداً إياها ، لتصورها بالألوان الحبيبة إلى نفسه .. والشاعر يسجل تلك السويعات فى أبيات ، يرددها كلما هفا به الحنين إليها . . ! !

« واكد »

أحلام ضائعة

سقطت عن غصنها العالى على الأرض صريعة
زهرة فيحاء كانت ذات ألوان بديعـــة
تحت نور الشمس تبدو باسمة . . !
مثل عذراء طروب حالمة . . ! !
حُلمها من ذهب . . !
رائع كاللهب . . ! !

* * *

من جمال السحر حاكت . . حولها ثوباً قشيباً
كان للعشاق والرواد فى الروض حبيباً
ها هى اليوم على وجه الثرى . . ! !
لفها حزن كئيب هل تُرى . . ! !
قد يراها العاشقون . . ؟؟
أم بها لا يأبهون . . ؟؟

* * *

مرت العشاق فى الروض ... جماعات وساروا
فى ابتهاج صاخب يُغرى على الحب .. وصاروا
يمدحون الحسن فى فصل الربيع . !
وجمال الروض ،والزهر البديع . . ! !
فى حديث جزل . . !
بفؤاد جذل . . ! !

كانت الزهرة تصغى فى انتباه للجدَل . . ! !
وتظن القول فيها .. فانتشى فيها الأمل . . ! !
وتمشّى نوره بين حشاها . . ! !
فطوت من نفسها حزناً غشاها . . ! !
وبدت تبتسمُ . . ! !
وجفاها الألم . . ! !

* * *

شعرت فى مهدها الثاوى على وجه الأديم . . .
وقع أقدام حبيب . سمعته من قديم . . ! !
ظنت القادم صباً مغرماً . . !
جاءها يطفئ شوقاً مضرَماً . . ! !
بفؤاد حائر . . !
لمحب ساهر . . ! !

* * *

وعرتها نشوة سحرية اللون شجية . . ! !
فغدت سكرى بآمال وأحلام سنية . . .
نشوة العذراء تخلو بالحبيب . . !
فى أمان من عذول ورقيب . . ! !
حيث يحلو الغزل . . ! !
وتطوف القبل . . ! !

* * *

لم ير السارى مكاناً فيه تثوى وتقيمْ . . ! !

فغشاها قـــدم جاحد منـــه أثيمْ . . ! !
ماتت الزهرة تحت القدمِ . . ! !
وغدت رمز الفنا والعدمِ . . ! !
بعد ما كانت جميلة . . ! !
بين أزهار الخميلة . . ! !

السّـاحِـــر

عثرت فتاته على ورقة من أوراق الشعوذة ملقاة في مخدعها ، فجعلت من الورقة بخوراً ، وراحت تقفز من فوق دخانها تحدياً للسحر والساحر ، وكانت رائعة في تحديها ، وقد تهدلت ثيابها فكشفت عن فتنتها وإذ رآها شاعرها في هذه الروعة ، تلقفها بين ذراعيه وهو يرتجل :

أسحرك أم سحرهم يا ترى ... لكل فؤاد هو الساحر ؟
أرادوك أن تخضعي للهوى ... برغمك يا فتنتي مادروا . .
بأن فـــؤادك جد عنيد ... لكل ضروب الهوى ناكر . . !

* * *

تحديتِ سحرهمُ بعنـــاد ... وسحر لعمري هو القاهر
فهل علموا أن سحر العيون ... على كل شيْ هو القـادر ؟
ففيه الحيـــاة وفيه النعيم ... وفيـه ربيـع الصبا ناضر
حنانيك يا فتنتي رحمـــة ... فإنك في عالمي الساحر . . ! !

رِيبَة

(بعثت فتاة الشاعر إليه برسالة ثم
أرسلت تستردها فكتب إليها :

أترى ندمت على الهوى . . ؟ أم ذاك حرص لا ندمْ ؟
ولمَ التحوّطُ فى الهوى . . ؟ والحب فى القلب احتدَمْ . ؟
أريبة يا فتنتى ؟ ياويح قلبىَ لو عَلِم . . !
ماذا عليك وقد أطعت نداء قلبك يا حلم ؟ ؟
وهمست من أشجانه . . شيئاً إلى سن القلم
وبعثته كرسالة تشكو الغرام المضطرم ؟
فى مهجة ترجو الحياة . . طليقة مثل الحلم ؟ ؟
ماذا إذا قلب أحب وما عساه قد اجترم
ليكون بعض جزائه أن يحتسى كأس الألم ؟ ؟

خريفُ الجمال

إصغى لقول عذول القلب وامتنعى عن السماع لصوت المدنف الشاكى
غداً سيذهب عنك الحسن مبتعداً مع الشباب ولن يرثى لبلواكى
قلب تحطم فى الأضلاع معتزماً ألا يحاول بعد اليوم لقياك
فلن تدوم لزهر الروض بهجته ولن تظل طيور الأيك تهواك
يابانة برياض الحسن يانعة لا . . لاتردى فؤاداً بات يهواك
مقدساً فيك تاج الحسن مكتفياً بنظرة وابتسام من محيّاك
غداً سيأتى خريف دون قسوته صلابة الصخر يا ويحى وإياك
من الخريف إذا ما قال قائله لدولة الحسن تخلو ساح مغناك
سيهجر الطير غصناً كان يعشقه إذ لم يعد مكتسى إلا بأشواك

أتركيني

تغاضب الشاعر وفتاته ، فهجر القاهرة إلى الصحراء ، ولكنها تراءت له فى الحلم غضبى عاتبة .. فهب من نومه وكتب اليها هذه الأبيات :

أتركيني .. لا تجيئي فى الحلمْ ... فتثيرى فى الحشا مرّ الألمْ
لا تزوري بين أحلام الكرى ... مهجة حيرى .. تناهت فى السقمْ
كدت أنسى الحب لولا زائر .. ... فى ثنايا الحلم بالنفس يُلم
فيثير الحب من مَكمنه .. ... بعد ما أخمد ، ناراً كالحمم

* * *

أمس جئتيني ، فما كلمتني .. ... لا .. ولا هدّأت ناراً تضطرم
تأكل القلب ولا تبقى الحشا .. ... أترى القلب سوى لحم ودم ؟
مزّقته أسهم مسمومة ... راشها فيه بنان كالعنم
لم يفوّقها عدو ناقم ... بل حبيب من محب ينتقم ..

* * *

قد عشقتُ البيد لما أنْ قضى ... بيننا الدهر بسيف المنتقم
قاطعاً ما بيننا من سبب ... كان لى فى النوم واليقظة هم
فأتى طيفك عنى باحثاً .. ... فى الصحارى عند ما الليل ألم
بجناح الشوق يسعى فى الدجى ... ليرى من لم يجئ أمراً يُذم
أترى يخشى عذولا حاسداً ... فتخفّى عنه بالظلمة أم
أم تراه انسل لما أن غشى ... عينك النجلاء يا فتنة نوم
أم تكونين له مرسلة .. ... كرسول عند ما الليل ادلهم

ليرى من حيث لا يُبصره ... ما أعانى من بلاء وسقم
ثم يأتيك بأخبارى التى ... ربما الشرح لها يُعيى القلم
فتلمى بالذى ألقى .. ولا ... ألمسنْ ما أنت فيه من ندم
أتركينى .. لا تجيئى فى الحلم ... فتثيرى فى الحشا مر الألم ..

ابتسام مريب

يا ليالى الصفاء عودى إلينا ... فأظلى نفوسنا والقلوبا
وأعيدى لنا العهود الخوالى ... كاد قلبى من الأسى أن يذوبا
غفل الدهر عن عذابىَ حيناً ... فرأيت الحياة شيئاً عجيبا
حيث كنا نسير جنباً لجنب ... ونسوق الحديث عذباً طروبا
ونرى البدر فى السماء مطلا ... باسماً ضاحكاً بعيداً قريباً
حوله الأنجم اللوامع تهدى ... قبل الحب ثغره المحبوبا
كنا فى نعمة السعادة نحيا ... كم رشفنا الهناء كوباً فكوبا

* * *

غرّنى من فم الزمان ابتسام ... يا ابتسام الزمان كنت مريبا
خلفك الأسهم القواتل باتت ... تنسج الحزن والأسى والخطوبا
أى ذنب جنيته يا فؤادى ... لتذوق العناء والتعذيبا ..؟
هات يادهر كل ما شئتَ إنى ... لا أرى منك أىّ شىءٍ غريبا
وادّخر لى من النوائب إلّا ... أن أرانى وقد فقدتُ الحبيبا

وادى الجحيم

كان مقام الشاعر فى روض بالصحراء ، وكان محسوداً من الوافدين عليه ... وفى هذا يقول :

أنا فى جنـــة أقيم بجسمى ... وبروحى أطوف وادى الجحيم
من يرانى يظن أنى سعيد ... بمقامى بروضتى .. فى نعيم ..
بين زهر يرف وهو ندىّ ... ينشر العطر فى مسارى النسيم
وهنا جدول .. يسيل لجينا ... وهناك الظلال تحت الكروم
رقص العشب بينها كحبب ... هزه الشوق من فؤاد حطيم
لعبت بينـــه النسائم حتى ... عاش طول الحياة كالمحموم
وتقوم الطيور فى كل غصن ... مائس بالغنـــاء والترنيم
فتحيل الحيـــاة فى الروض سحراً
يمحق السقم من فؤاد السقيم

* * *

قال لى الحاسدون إن مقاماً ... مثل هذا يذيب عاتى الهموم
روضة فى القفار ؟؟ هذا بديع ... ههنـــا أنت فى نعيم مقيم
إن هذى الرياض بين الصحارى ... رحمة من لدى العزيز الحكيم ..

* * *

هل درى حُسّدى بأنى شقى ... دمعه فى انسكابه كالغيوم ؟
هل درى حسدى بأنى طعين ... يذرف الدمع من فؤاد كليم ؟
هل درى حسدى بأنى تعيس ... لقىَ الغبن من زمان ظلوم ؟
هل درى حسدى بأنى صريع ... جرع الكاس أترعت بالسموم

لا أرى الروض غير سجن كئيب
موحش قد دخلتـــه من قديم

إننى قد سئمت منـــه ظلاما ... يجعل النفس مثل نفس الغطيم
نالها الحزن فى الحياة فناحت ... وبكت من أسى ظلوم غشوم
قد غشاها بأول العهد بالد ... نيا .. فباتت بحسرة وهموم
أثقلتها .. فلم تجد من أساها ... غير دمع يُريقه فى وجوم

* * *

إنما الروض حسنه وبهاه .. ... لا يراه سوى الفؤاد السليم
لا يرى المرء ما يرى بعيون ... قد ترى فى الضحى صغير النجوم
بل يرى ما يرى بما فى فؤاد ... بين جنبيه من سناً أو عُتوم
وبنفس له حوى الكون فيها ... جمعت للحياة شتى الرسوم
تصبغ النفس كل شىء فيبدو ... بكساء شبيهه فى الصميم
فإذا النفس قد عراها اكتئاب ... فكذا الكون قد أرى طوعَ يُومى
وإذا القلب عاش يوماً سعيداً ... رفل الكون فى الجمال اليتيم ..
وأنا من أساى بين همومى ... لا أرى الروض غير نار الجحيم

حلم

رأى الشاعر فى الحلم رجلا كسيحاً يعترض طريقه فحاول إنهاضه فقام منه على الأرض ولما فسر الحلم قيل له بأن هذا حظك فقال :

رأيتُ حظى كسيحاً ... لا يستطيع نهوضاً
أنهضته بيمينى .. ... فنـــام منى مريضاً

الحرمان

جرّدي نفسك من هذا الخجلْ ..
وابعثي في القلب أحلام الأملْ ..
وانقذيني من غيابات الخبلْ ..
كاد قلبي أن يغشّيه الملل .. !!
من حياة ليس فيها غير آلام الشقاء

* * *

أيّ ظبي أنت يا روح الفؤادْ ..؟
نسيَ الرحمة حباً في العنادْ ..
أتظنين فؤادي من جمادْ .. ؟
ليقاسي الصد طوراً والبعادْ ؟؟
من حبيب ليس يدري ما أعاني من بلاء

* * *

يا حياتي لمَ تهوين التجنّي .. ؟؟
أنت في غيظك أعذب لحن ..
أنت أبهى ما يرى إنسان عيني
إن في عينيك ما يسمو بفني
إن في عينيك سحراً سوف لا يرضى الفناء ..!

* * *

أنظري الزهرة في وقت البكورْ
كيف تهدي الروض من فيها العبيرْ

أنظريها كيف هامت بالسفورْ
والفراشات الحوالِيها تدورْ ..
تبتغى منها الرحيق .. جهرة تحت الضياء

***

أنا فى حى أمين يا فتاتى ..
أنا للسر كتوم يا حياتى ..
لم لا تحيين مثل الزهرات ؟؟
لنسيم الروض تهدى القبلات
وهى لاتأبى العناقْ .. لأرى بعض الهناء ..!!

العـــودة

جددت أحلامى، فذاب شقائى ... يانعمة الدنيا .. ونبع هنائى
ومسحت آلامى الغزار ببسمة ... ألاّقة من ثغرك الوضاء ..
ونفحتنى يوم الوداع بقبلة ... هى كل زادى فى مكانى النائى
ومنحتنى عطفاً أعيش بظله ... فى القفرة الجرداء - فى الصحراء
وكأننى فى روضة مملوءة ... حسناً .. فيالروضة الفيحاء

☆ ☆ ☆

قد طفت من قبل الصحارى لم أجد ... ظلا لحسن ، أو لطيف بهاء
واليوم ماذا ؟؟ هل تبدّل خلقها؟ ... أم أنها تبدو لعين الرائى .
تبدو كما كانت.. ولكنى أنا.. ... من بُدلت بيد الهوى آرائى
فغدوت أنظر للحياة ودرضاً ... عن كل شىء مذ رحمت عنائى
فالشمس غير الشمس، حتى والحصا ... حباته كالدّر تحت المـــاء
والريح إن عصفت فبين أزيزها ... نغم .. يطول لصوته إصغائى
والبدر إذ يبدو بليلة تمه ... شبهته بفتاتىَ الحسناء .
فالكون مزدهر ، وأنت مليكه ... تخذت لها عرشاً من الجوزاء.

☆ ☆ ☆

الشعر إيحاء .. وأنت قصيدة ... فقراتها قلبى وبعض دمائى
والحسن للشعراء ملهمهم ومن ... عينيك إلهامى ، وفيك غنائى
أمشى فألمح فى الفضاء تألّقاً ... يجلو الدجى فى الليلة الظلماء
فأدقق النظرات علنّى قد أرى ... بدراً سما فى القبة الزرقاء
فاذا بوجهك ما يطالع أعينى ... فى كل ناحية . بأفق سمائى
ويحوم حولىَ مالئاً أفق سنا ... يخبو بجانبه سنا الزهراء ..!!

☆ ☆ ☆

معبودتى مهلا . . لحبك قاتلى ... وسهام لحظك هم أساس الداء
معبودتى روحى إليك وهبته ... ودمى عليك وقفته .. ووفائى
فاذا عطفت فكل شىء باسم ... وإذا قسوت فيالطول بكائى
فرضاك آمالى العذاب وليس لى ... فى الكون غيرك .. نعمتى وبلائى
والشمس إن غربت فلون غروبها ... يحكى لهيب الوجد فى أحشائى
إنى أحبك ، والحياة جميلة ... لما عطفت .. فأنت نبع هنائى

تعالى !

سلى قلبى .. سلى قلبى ... سليه عن لظى الحب
سليه عن مرارته ... وكأس ليس بالعذب
تجـــرّعها مطفئة . . . ... بما للنجم من ذوْب

* * *

تعالىْ زهرة الوادى ... تعالى فابسمى جنبى
وناغى الحب باسمة ... بصوت خافت عذب
تعالى فاسعدى قلبى ... فما للقلب من ذنب
ليشقى دون ما سبب ... سوى ما كان من حبى
إذا كان الهوى ذنباً ... فما أحلاك يا ذنبى
سأذنب دائماً أبداً ... وأحرق فى الهوى قلبى
كقربان لفـــاتنتى ... وتكفير عن الذنب

عُـــلم

تقولين فى كل شىء « عُـلِمْ » وإن كنت أشكوك مرّ الألم
فماذا تُرى القلب قد يجتنى إذا ما أجبت بهذا الكلم ؟
وليس به أى معنى يفيد . . بأن فؤادك لى قد رحم
ولولا ابتسام جميل يضىء على ثغرك الحلو إذ يبتسم
لما هدأ القلب بين الضلوع وما ودّع النفس هم ألمْ
حنانيك يا فتنتى رحمة بقلبى الولوع إذا ما ألِمْ
فلا تتركيه رهين الهموم وقولى له مايزيل السقم
ليهنأ فى عيشه ساعة تطوف كما قد يطوف الحلم

همر وفيت .. ؟؟

يا من وعدت ولم تف هلا وفيت لنا بوعدك ؟
فالوعد دين والوفاء به جميل مثل خدك . .
إنى أطالب بالوفاء بكل وعد غير صدّك
فلترحمنْ خلا يتوق لأن يراك تفى بوعدك

ألطاف

شممتُ عطرك فاهتز الفؤاد له وقمت أنظر هل أقبلت ياحلمى
فلم أجد غير أطياف تمثل لى منايَ أنت وتذكى فى الحشا ألمى

ذات مساء

قالت تحدّث همساً ، وهى واجفة
وقد لبسنا الدجى فى روض ريحان
أهواك يا قاتلى ، والشوق فى كبدى
ومهجتى ودمى : يسرى كنيران
تجتاح منى الحشا والقلب فى عنت
أودى برشدى ، وكان الرشد عنوانى
فكنتُ ذات الحجا فى القيد قاطبة
ممن ولدْنَ معى فى شهر نيسان (١)
لكنه الحب أعمى كل باصرة . .
من عقل ذات الحجا ، فاختلّ ميزانى
إذ جئت ألقاك والأرصاد تتبعنى
وأعين الليل فى الظلماء ترعانى
وسوف يعرف عنى كل ذى أرَب
حرمته النعمة الكبرى (٢) بهجرانى
أنى ألاقيك فى الظلماء يدفعنى
إلى اللقاء هوى فى القلب أشقانى

* * *

فقلت يا فتنتى كونى لساعتنا
وطلق هاجساً من وحى شيطان

---

(١) نيسان : شهر عبرى تولد وتتفتح فيه الورود والازهار .
(٢) النعمة الكبرى : الحب

فالروض يحكمه صمت ، ويحجبه
ليل بهيم الدّجى ، عن كل إنسان
وليس من حولنا من سوف يفضحنا
وليس من حُرمة فى وصل ولهان
هاتِ يديك ، وقومى نلتقى دَغَلا
لنستقى كاس ودّ بعد حِرْمان

* * *

وتحت أيكة بان كان مجلسنا . .
وقد تَدلت علينا بعض أغصان
وأرسل الليل أنفاساً مُنغمة
كأن قيثارة فى صدر فنان
تُبارك الحب . . واللقيا . . بأغنية
تجوب روض الهوى فى بعض ألحان
فملت أطبع فوق الخد منيته
من الشفاه وقلبى راقص هانى

* * *

قالت : أتطلب وصلى ؟ لستُ أرفضه
ولستُ أرضاه . . إن العقل جافانى
فإن رفضُ مُنَى المحبوب مأثمة
فى شِرْعة الحب عنها القلب أثنانى
لكن فى وصله إثماً وفاحشة
والحب يُفسده فى النفس هذان

وَيْلاه من خافق للإثم يدفعنى . .
أوّاه من وازع للطهر ناداني
قلبي . . ضميرى . . كلا الإثنين عذّبنى
نداؤه . . وكلا الاثنين ينهانى
فإن أطعتُ فؤادى كنتُ خاسرة
ولستُ رابحة إن فاز وجدانى
أىّ السبيلين قد أختار آمنة
قد أشكلَ الأمرَ هذان النقيضان
ولم يعد لى رشاد أستبين به
مواقع الخطو . . إن الحب أعمانى . .

* * *

فقلت : ماذا أرى ؟ ؟ حيرَى يعذبها
نداء داعى الهوى ؟ ؟ قالت : وإيمانى
فقلت : لاتجزعى . . قالت : وما جزَعى
إلاّ لأنّ الهوى والإثم خصمان
يطارِد الإثمُ طيفَ الحب مجتهداً
أن يجعل الحب شيئاً غير روحانى
والحب قُدْسيّة إن مسها دَنَس
أوْدَى بجوهرها ، للعـــالم الفانى
ويصبح الحب لفظاً لا يقابله
من المعـــانى سوى زور وبُهتان
ألا ترى ما أرى ؟ ؟ أم ما أرى خطأ
يُمليه وَهْم قوى قد تولاّنى ؟ ؟

فقلت : إن الهوى عـذر لفاتنة
إذا رَوَتْ غلة فى قلب صديان
وليس فى الحب إثم . . أنت واهمة
وإن يكن آثماً يُجزَى بغفران
هيا بنا عجّلى ..!! قالت : أتخدعنى!!
وإن تكن خدعة من صوغ لهفان
فهـاك ما تبتغى . إنى لمسلمة
إليك نفسى بقلب واجف حان

* * *

وأغمضت مُقلتىْ سكرىَ بنشوتها
تغالب الوجْدَ والوجدانَ فى آن
وأسلمتْ مُدْنفاً دُرّاً لوالهـة
وعلّقت ثغرها فى فم ظمیان
ليرتوى من رحيق ليس يدركه
فى باسمات الرّبا من زهر بستان
وألصقت صدرها والقلب مضطرب
بين الضلوع بصدر العاشق العانى
وأرسلت شعرها تسعى كتائبه
مـع النسيم كليل حالك ثان
تبسّم البدر فيه وهو مكتمل
لكى يبدد من دنياى أحزانى

* * *

لكنما عنـــدما عُدنا ليقظتنا
وعاد معنا رشاد بعد فقـدان
قالت : أثمتُ وصارت عفتى خبراً
لفعل كان الذى يوحى بنقصان
وودّع الطهر نفسى ، فهى آثمة
وقد قتلتُ غرامى بين أحضانى
ولستَ أنت الذى أغرَى بفاحشة
أتيتُها .. إنما قلبى هو الجانى
وكفكفتْ عبرة تبكى طهارتها ..
وأرسلتْ بسمة توحى بعدوان
وأيقظ البلبل الغرّيد نشوتنا
فعاد للنفس ما قد كان من آن
فأبرزت فى الدجى نهدَىْ مغامرة
قد آمنت بالهوى فى غير نُكران
فكنتُ منها رضيعاً شبّ من شغف
يدَغْدغ النهد فى رفق وتحنـان
وصرت من أجلها للإثم منقطعاً
أعبّ من دنّه عبـــاً بإدمان
وبالخطيئة مفتوناً ، وبى ظمأ
يزداد بالنفس إذ يزداد إمعانى
فى غىّ هذا الهوى ، حتى غدوْت له
عبداً ، أحوز الرضا من لاتِ أوثانى

وقبل أن التقيها كنت ذا ورع
يُجيز للنفس أن تحظى برضوان
لكنها أقبلت بالسحر مجهزة
على تقاى ، ولم أشعر بخسران
إذ صرت أنعم بالفردوس منفرداً
فى كل يوم لقاء فيه تلقانى ..
فجنتى فى الدنا من سحرها خُلقت
وفى ظلال هواها قام رضوانى
ولو دخلت جحيماً ما شقوت به
لو انّ فاتنتى من بين جيرانى
جوارها جنة لو كان فى سقر
فما الفراديس منه غير ألوان
وبُعدها شقوة لا يستهان بها
فوق الجحيم إذا قيست بنيران

ذكرى غرام

. . . وكأنما قتلت ليلة الروض الغرام فى صدرها، فرمت صاحبها فجأة بالقطيعة. وحاول جهده أن يصل ما انقطع، ولكن دون جدوى فكتب هذه القصيدة وبعثها اليها .

ذكرى غرامك سلوى قلبيَ الباكى وذكر اسمك زادى بعد منآكِ
وليس خِدْنى إلا من يُذاكرنى
فى الحب .. حبك .. أو يُوحى بذكراك
وما ديارىَ إلا ما لمستُ بها آثار حبك أو أطياف لقياكِ

• • •

ليلاى .. من أنت؟؟ من ألقاك فى سُبلى؟؟
لتسلبى الصدر قلبـــاً قام يرعاك
ويح الفؤاد ، أيرعى حب باغية عليه فى حبه : ما كان أقساك
لما بَرِمت به .. هل كنت صادقة أم ان دلّك بالهجران أغراك
لتشعلى نار قلب ما لمستِ به بعض الفتور بيوم فيه لاقاك

• • •

ليلاى أنت قضائى ، أنت لى قدر. أرى هنائىَ أضحى ملك يمناك
إن شئتِ عذبت قلباً ذنبه شغف بكل ما فى جمال الخَلق حاكاك
وإن أردتِ ملأت الكأس لى حَبباً أحيا سعيداً به فى ظل نُعماك

• • •

ماذا جنيتُ لأشقى فى هواك وما داعى القطيعة .. ماذنبى وإيّاك
لقد خشيتك لما أن لمحتُ على سمات وجهك ما يوحى بمعناك

أنت الحياة.. وفيك الموت مستتر ... مال النقائض حامت حول مغناك
فإن وصلت أرى الدنيا كراقصة ... طوع البنان تُلبي أمر مضناك
وإن قطعتِ فما فى الكون بارقة ... من الرجاء لقلب بات يهواك ..

. . .

حسناء أنت حباك الله بهرجة ... تُضل كل بصير عن نواياك
أضلّ حسنك عقلى وهو مكتمل ... لما رأيت ابتساما فى محياك
ظننته دعوة للحب صادقة ... وكان قلبىَ فى نشوى برياك
أقبلتُ أنشق منك العطر ملتمساً ... من الحياة .. حياة حين ألقاك
لكن قلبك لم يحفظ هواى ولم ... يمنح فؤادىَ إلا حقل أشواك
لكى يعيش به مضنى يعذبه ... جحيم هجرك .. ياليلاى رُحماك
فلم تعد حكمتى ليلاى تنفعنى ... وكم نصحتُ وأجدى نصحىَ الشاكى
أنا الذى قصد العشاق كرمته ... ليستظلوا بنصحى قبل رؤياك
أصبحتُ أسأل من يأتى ليسألنى ... كأنما الحب قد أودى بإدراكى

نفسى حيرى

يا زمانا قد تولّ ... وغدا طيف خيالْ
كنت بالأحلام مملو ... ءاً جمالا وجلالْ
فغدت آمال نفسى ... ماعدا الماضى ضلالْ
قد تركتَ النفس حيرى ... مذ تولاك الزوال

الخريفُ الباكى

.. ومضت سنون والطير هاجر غصنه ..
وذات يوم ذهب ليزور ربع أحلامه ويرى
فاتنة الشباب . فاذا كل شيء قد تغير
.. ذبلت الزهرة ، وطمع فى استنشاق ماتبقى
من عبيرها الفوغاء ، فانصرف فى صمت وبعث
اليها بهذه القصيدة :

خلع الخريف على جمالك ظله ... فغدَوْتِ للماضى كرمز باكِ
تبكين من عَنت الزمان وجوره ... والدهر قاس لا يرق لباكِ
ولو ان دمعك لم يسل حتى ولم ... تبتل من قطراته عيناك
لكن فى لفاتتك الحيرى أسى ... أدْمى من العبرات .. ما أشقاك
إذ جف ينبوع الغرام ولم يعد ... بقلوب طلاب الهوى .. مثواك

• • •

أوَ هكذا يقسو الزمان على التى ... صرعت بسيف لحاظها الفتاك
آلاف أغيدة تصيدهم هوى ... بجمالها الفتان .. دون شباك
ويح الخريف .. لقد أتاك مبكراً ... وقضى عليك الدهر بالأشواك
تدمى أناملك الرقاق بقسوة ... تلك التى عاثت بورد مناك
ويل الزمان فهل أراد بما قضى ... بعض القصاص لمن قضوا صرعاك؟
أم أنه باغ عليك لأنه ... لم يلق منك سوى مرير جفاك ؟
أم أن هذا حظ كل مليحة ... تمشى على سنن الهوى الأفاك ؟
تهب الغرام لحاضر حتى إذا ... ولّى .. تناهت فى الغرام لذاك .؟

* * *

يا فتنة الماضى .. عليك تأسّفى ... قلبى توجع إذ لمست أساك

لما تبدّلت الحياة .. وأطمعت فيك الرعاع .. فافسدت مغناك
لم يبق من أحلام ماضيك سو ى اللمحات. تحفظ بعضها جفناك
ولعل ذكراها عزاؤك بعدما طافت بخديك ورود بهاك
لاتحزنى .. فلقد ضحكت ولم يعد لك فى الحياة سوى طويل بكاك
واستنجدى الأصباغ فهى كفيلة بطلاء وجهك كى يدوم عزاك

ضَحِكٌ وبُكَاءٌ

أضحكتنى الحياة دهرا طويلا ضحكا حلوه كمر البكاء ..
كم تجرّعت من أساها كؤوساً أثملت مهجتى بخمر الشقاء
مالُ صحرائها تسد سبيلى ؟ أبها قد زرعت كل رجائى ؟
أترى فى القفار ما ينبت الزر ع ويزجى غصونه بالنماء ؟؟
أم ترى الموت والفناء مصير لرجاء زرعته بالعراء ؟ ؟

• • •

أين يادهر صيب الغيث يحيى زرع قلبى بواحتى القفراء ؟
لم يعد بالسماء يا دهر إلا سُحْبُ صيف .. ألا تجود بماء
يحى ما صوّح الهجير من الآ مال كى استرد بعض هنائى !!

حسرة

مرت سنون الصبا والقلب في ظمأ ... فكيف حال فؤاد عاش صديانا!
يرى الخلائق تحسو فوق طاقتها ... ودنّه فارغ من كل ما كانا ..
كأنه بقفار البيد مرتحل ... أمضى برحلته النكراء أزمانا
وليس في يمنه ماء يردّ به ... ظماء نفس عليها القيظ قد رانا
ولا يرى بينها ما يستظل به ... فكيف يمضي.! ألا يكفيه ما عانى

. . .

أسفي على زهرة فيحاء قد ذبلت ... وخلفت روضها الضحاك نشوانا
يستقبل الظلّ في بشر وفي ثمل ... كأنه الخِل يلقى الخِل جذلانا
وتلك في وحشة تقضي بلا سبب ... كأنما حينها - بالرغم - قد حانا..

. . .

كأس من البؤس فاقت في مرارتها ... غدر الزمان بمن لم يلق خذلانا
ولم يذق مرة للدهر نائبة ... جُرّعتها بيد الأيام عدوانا
وطفقت كاس غيري بالسلاف. ألا ... تكون إنسيتي زوراً وبهتاناً.
وأن من صور الإنسان صورني ... ظلا لأشقى لأني لست إنساناً !
أم أنه البارىء القهار قدّر لي ... أني أعيش بشط النيل عطشانا
حتى أكون على الأيام موعظة ... لكل ذي شقوة يشكوه حرمانا
في ذمة الله أعواماً أضعت سُدى ... ومهجة لم يذقها الدهر إحساناً .!

مولدى

أمعك جديد جاء يا يوم مولدى؟ أم انك آت بالسوابق مقتد؟
إذا كنت من ماضى جئت بصفحة لتنشرها فى عامى المتجدد..
فقف عند هذا الحد.. لا تمض. إننى تحملت فى ماضى ذل التشرد
وأفرغت أكواباً بجوفى مليئة بأقذع ألوان الضنى المتعدد..!!
ولم أر فى ماضى بارقة المنى تلوح.. إذا ما كان لى أى مقصد
تغلقت الأبواب دونى جميعها. وأصبح لى الخذلان أعذب مورد
تخاصمت والخذلان حينا لعلنى منفره منى.. فيزهد فى يدى
ولكنه أعطى الصداقة حقها وأخلص فى ودى وأمسك مقودى
إلى موطن الإخفاق فى سبيل المنى ومن عجب أنى به كنت أقتدى..
فودعت أحلامى، ولم يبق لى منى وعشت على الأيام نكراً بلا ندى

* * *

ثلاثون عاماً شيعت وثلاثة فيا بئس أعوامى، ويا سوء مولدى
ولدت لأشقى فى الحياة.. ألم أكن جديراً بإسعاد.. فيا رب مسعد
غرير.. وفى الدنيا أقل كفاية وسيقت له الآمال تسعى كأمجد
فحقق أحلاماً، وبلغ مقصداً يلوح لأمثالى كأبعد فرقد..!!
وما هو بالمقدام كى يبلغ المنى ولا أنا للإخفاق بالمتردد..!!
ولكنها الأيام تعطى سخية لأغبى عباد الله دون تردد..
وتحرم أصحاب الكفاية ودها فتقلب أوضاع الحياة وتعتدى
على كل ذى حق.. فتسلب حقه وتعطى له غمداً بغير مهند
فكيف ينال الغلب والغمد خالى من السيف فى ساح الوغى المتوقد
وما السيف إلا بسمة الحظ تنجلى لها الظلمات السود والليل سرمدى

وتُذهب أطباق الظلام بعيدة فتصطبغ الدنيا بنور كمسجد
وتصبح أيام الحياة جميعها كغيداء قد تبدو بخدٍّ مورَّدِ
تُضرِّمُ نيراناً إذا ما تمنعت وتُغدِق إسعاداً بكأس التودّدِ
فيا بسمة الحظ الجميل ترفقي وجودي بوصلي ذات يوم وجددي
مواثيق إخلاص لأسعد بالمنى فأقنص أحلامي، وأبلغ مقصدي

* * *

فها هو ذا الماضي أيا يوم مولدي وها هي أحلامي. فأيّ أستقتدي؟
إذا كنتَ للماضي أتيت مكرراً فلا خير في أمسي، ولا خير في غدي
وأجدر بي أني أغادر ذي الدنا إلى حيث يمضي كل عانٍ مشرّدِ
فلستُ أرى الدنيا على ما خبرتها وتلك مراميها تليق بأجوَدِ!
فلله آمالي . . ولله خبرتي ولله آلامي . . ولله سؤددي!..

المِعْطَفُ المَحْسُودُ

أعطته حسناء معطفها ليحمله عنها بعض الوقت وعندما استعادته كان قد وضع في جيبه وريقة فيها .

يا معطفاً ضمّ الجمال ألا تحدثني بحسك
لما أحطت بخصرها ولمست فتنتها بنفسك
تلك التي لما احتويتَ جمالها أعلمتْ بقدرك
يا ليتني منك البطانة أو زرار فوق صدرك
إني نعمتُ وقد حملتك لحظة مثل الحلم
وألِمْتُ إذ فارقتني عَجِلا ولما لم تُتمم

حسناء ما ابتسم الربيع بمثلها بين الجنان
في صوتها نغم كألحان يرتلها القيان ..!
وبوجهها السمْح الوضيء جمال فجر ينبثق
في ظلمة من شعرها كالبدر في عرض الأفق
وبثغرها حُلمي بهيم كأنه وحي القدر
وبلحظها قدَري يلوح فهل تُرى يُنجي الحذر؟؟

عُيُونٌ

.. وقالت له أن ينظم لها أغنية تغنيها
فأملى عليها وهو يحدق في وجهها :

عيناي .. عيناي . . لولا فيض سحركما
ما كان للفن أن يسمو بفنان . .
فمنكما اللحظ يوحي كل خاطرة
ويبعث الروح بعثاً في الدّنا ثان
ويلهم القلب ألواناً مخلدة
من الفنون بطرف شبه وسنان
سبحانك الله عيني خلقها عجب
تروي الظماء .. وتظمي كل ريان

الخاطئة

قال الشاعر هذه الأبيات على لسان فتاة لم تصن عهد الهوى فهجرها صاحبها وظلت تنتظره أن يعود ولكنه لم يعد .

كم من ليال أقمت الليل أنتظر
عَوْد الحبيب .. فلا عود ولا خبر
هو الدواء .. وكانت لى محبته
زاداً .. وكنت به أزهو وأفتخر
ولم أصن عهده بل كنت عابثة
فلم يكن فى الهوى من شيمتى الحذر
ولىّ .. وكان أميناً فى مودّته
ألم يعد للهوى فى قلبه أثر ؟؟
يا غضبة الحب ما أقساك قاتلة
أى الشفاعة ترضى ؟ لست أدّخر ..
أستغفر الله إنى كنت خاطئة
فهل ترى قلبه يصفو ويغتفر . ؟؟

الدموع الباسمة

تسلمت حسناء كتاباً به صورة أخيها فابتسمت سروراً بها وبكت شوقاً إليه . .

بكت سرورا وشوقا وهى باسمة
فيالروعة حسن ضاحك باك
رأيتها فتنة للقلب ضاحكة
وراعنى حسنها .. يا صاحبى الباكى

من كهف الذكريات

قديسة المحراب

إن خير ما يكشف عن خبايا النفوس البشرية في أرفع مراتبها ، تلك الرسائل التي تفيض بها القلوب الشاعرة كالنجوى ، لكي تغلف قلب من تحب فتتملكه .. وتنقله إلى عالم يحس فيه بما يعتمل بين جنباتها من مشاعر ..!!

واكد

نظرة عابرة

رآها .. فأعجب بها ..
وأحبها .. فتهيبها ..!!
ولكن الألم فى نفسه قد احتدم . . وراحت تتجاذبه الأحلام .. والأوهام . . فكتب يبثها نجواه وما يعانى فى سبيل هواها . . ولكن . . من وراء ستار .. !!

فاليك يافارئى أقدم مابعث به اليها من زفرات .. خلال قصة هذا الحب ، الذى اندلع حاراً ثائراً كاللهب، ثم هاج وزمزم كالحريق .. وكانا ـ هو وهى ـ ضراماً له وحطباً .. ثم دخاناً انعقد حينا فى سماء هذه الدنيا، وما لبث أن بدده الهواء بين السماء والأرض .. فأصبح لاشىء .. !!

يا فاتنتى . . .

أرانى فى غير حاجة لأن أبدأ رسالتى بالاعتذار عن جرأتى فى الكتابة إليك ، دون سبق تعارف أو استئذان . . ولعلك تتساءلين عما يعفينى من تقديم هذا الاعتذار مع اعترافى الصريح بأننا لم نتعارف . . !!

أما جوابى على هذا التساؤل الذى يجول فى خاطرك ولاريب، فهو أن شمس جمالك سطعت إشراقتها فى نفسى ، فأضاءت جنباتها فصرت وكأننى أعرفك منذ عشرات السنين ، لا أحس فارقاً بينى وبينك ، ولا أشعر أن هنالك مايحملنى على أن أقدم اعتذاراً عن أى شىء أفعله نحوك ، ولأننى من فرط ماتسلط على نفسى من فتنة وجاذبية ، مسحور فى غير وعى فى معزل عن الرشد ، إن كان فيما أقدمتُ عليه شذوذ أو ضلال . . !!

أما الفتنة .. فهى فى دمك الذى كاد أن يخالط دمى ، وإن لم تتلامس الأجساد حتى ولا مصافحة بالأيدى .. !!

رأيتك يافاتنتى .. كالغزال فى روض الأحلام، فوقعت من نفسى موقعاً لا أستطيع معه إلا أن أهلل وأكبر لجمالك العبقرى ، وتمنيت لو انى أحظى ببسمة من شفتيك القرمزيتين .. ابتسامة حتى ولو ساخرة من هذا الغرام المفاجىء الذى عثرت عليه فى الطريق. وكأنه الحظ الأعمى ، يصادف صاحب الطالع المسعود ..!

وأن أظفر من عينيك الساحرتين بنظرة متسائلة « ما هذا » على أن أكون أنا الذى عنه تتساءلين .. !!

وأظنك ستقولين بينك وبين نفسك: وما يهمك من أن أتساءل عنك . ،، إذن فهلا علمت يافاتنتى أننى أكون سعيداً إذا ما أثرتُ خاطراً فى نفسك ، لأستطيع أن أفاخر على مدى الأيام ، بأننى خطرت فى فكرك لحظة من الزمان ..!

أى سلمى . .

إننى أفضل أن أعيش فى فكرك لحظة ، عن أن أعمر مائة قرن بعيداً عنك فى زوايا النسيان ، حتى ولو كان مقامى فى غراديس الجنان .!

وأخيراً .. واصلت البحث عنك .. حتى اهتديت ، فاسترحت وأيقنت أنك لن تبخلى علىّ بالتحية إذا ما عرفتنى ، حتى ولو وأنت مارّة فى الطريق ..!

أرأيت كيف أن أمانىّ هينة لا مبالغة فيها .. !

إنها لا تزيد عن ابتسامة ساخرة، ونظرة متسائلة، وتحية فى الطريق

إنها لن تكلفك شيئاً قط . . فلعلك لا تبخلين .. !!

حبٌّ وحرب

أى سلمى ..

آه لو تعلمين كم تأسيتُ فى سبيلك خلال تلك المدة التى انقضت عقب أن بعثت إليك برسالتى الأولى ، التى بسطت فيها آمال قلبى .. !

تلك الآمال التى - على يسرها - تفوق فى أهميتها عندى .. « الممر البولندى ، وميناء دانزيج » اللذين من أجلهما استعرت نيران الحرب ، وجرت دماء الأبرياء ، حتى خضبت بلونها الأحمر القانى ، أديم الأرض . .

إن حرباً شعواء تستعر نيرانها فيما بين أضلعى ، فهل لك أن تتقدمى فتضعى بيدك الجميلة الناعمة ، اتفاقية للسلام بين نفسى المحتجة الثائرة .. وقلبى الجريح المتيم ..؟؟

كلما أحدق بالعالم خطر الحرب ، فى الأشهر الخوالى ، رفع صوته منادياً « مستر تشمبرلن » رسول السلام ، ليضع اتفاقية بين الدول التى تتنزّى رؤوسها شراً . ليحفظ على العالم نعمة الهدوء والاطمئنان .

وأنا كلما اشتدت بقلبى أزمة الحب والهوى ، رفعت ملتمسى إليك ، لكى تتقدمى بطرفك الساجى ، ويديك العاجيتين ، فتكونى رسولا للسلام بين كيوبيد وقلبى الممزق ، فهما فى عراك دائم ، أوشك القلب معه أن يستسلم ، دون قيد أو شرط ، لولا أن النفس تقوم منه مقام السياج الذى يمنعه من الخضوع المذل .

وإنى لأعتقد أن الطفل الشرس « كيوبيد الجميل » سيكون له الغلب حتما ، مادام يستمد ذخيرته وسهامه من عينيك القاتلتين، اللتين اتخذتا الفتك بالقلوب سلوة لهما منذ الحداثة ، فصار عدد ضحاياهما ليس من اليسير إحصاؤه ، وبالرغم من اعتقادى الجازم بأننى سأكون فى عداد هذه الضحايا ، بالرغم من هذا .. فاننى أريدك لتخفيف آلام الجرحى بين الأضالع .. ألا وهمو القلب والأحشاء ، فقد مزقتها السهام كل ممزق ..!!

سلمى . .

لعلنى أطلت عليك فيما لا فائدة فيه ، ولعلك تعتبرين هذا القول سفسطة فارغة ، وما هو إلا هذيان محموم عصفت به حمى حبك القاتل.!

إننى أرجو .

ولكن ماعسانى أن أرجو منك .!!

لاشىء . . لاشىء . . غير الرحمة والصفح الجميل ، إذا كنت قد أزعجتك وأنت ناعمة فى فردوسك الهادئ الساحر ، إلى جوار من هو أحق منى بقلبك ، لا لشىء إلا لأنه كان الأسبق اليه ، ، على أننى لا أريد عدا ذلك غير :

نظرة متسائلة . .

وابتسامة ساخرة . !

وتحية فى الطريق . . !

سراب

ها قد أقبل العيد ـ فكل عام وأنت كالزهرة الناضرة تنعمين بالسعادة والجمال .. ولكن هل تظنين أن كل عيد .. عيد ..؟؟

العيد للسعداء .. والسعداء هم الذين لا يتألمون .. والذين لا يتألمون لست أنا منهم ، لأننى لا أستطيع الوصول اليك ، ولا الظهور أمامك الآن ..

ولعلك تتساءلين : ولماذا لاتستطيع الظهور أمامى الآن ..؟؟ أما الجواب على هذا فستعرفينه ولاريب عندما نلتقى لثالث مرة ..!

ولنعد يا فاتنتى إلى العيد .. ولماذا هو عندى ليس بعيد ..

لو اننى سأنال لثم يدك فى صبيحة العيد ، لبتّ أسعد حالا من الأطفال الذين تبيت بجوارهم قطع الحلوى ، واللعب ، والهدايا ، وهم يحلمون فى ليلة العيد ، بجمال الغد وما سوف ينالون فيه من كثير المنح والنقود ..

ولكننى أعتقد أن يوم العيد سيمر ، وستتبعه أيام وأيام ، وأنا لا أستطيع أن أراك بحرية ..!

وليس معنى هذا أننى لاأستطيع أن أرفع بصرى إليك ..! كلا .. فأنا أراك وأحملق فيك ببصرتى ، دون أن أخشى شيئاً ، أو يمنعنى أحد ، كما أنظر زهرة جميلة فى حوضها يانعة ، وسط الروض الذى تهبه من لدنها البهجة والجمال .. ولكن نظرتى اليها ورؤيتى فيها ، تعتبر رؤيا ناقصة ، فارغة ، خالية من المعنى ، كما يرى الناس بعضهم بعضاً ، فأنت تمرين بى دون أن تخلفى بوجودى

وليس ذلك إلا لأنك لاتعرفيننى . ولا تعرفين عندما تمرين أننى ذلك المدنف الحائر الذى يتحرّق شوقاً إليك ، حتى وإن ظللت عاماً ماثلة أمامه، أو ملقية بجسدك الغض وعودك الأملودى بين ذراعيه ، إذ كلما أطلتُ فيك النظر ، ازداد شوقى اليك . . وما هو راسخ عندى أننى لو جعلت من ذاتى محيطاً لك .. واحتويتك فى قرارتى ، لما استطعت بذلك أيضاً أن أنقع غلتى منك . أو أروى ظمئى الذى يزداد بى ، ويلح على قلبى ، كلما رأيتك أمامى تخطرين .

إن مَثلى والحالةهذه مَثل السارى بالبيداء القفر ولاماء معه.. وقد أضناه الظمأ الذى يرين على نفسه ، ويشتد كلما لاح له السراب لامعاً فى الأفق البعيد ، فيستحث الخطى لعله يبلغه، وما هو بمدرك منه شيئاً ، وإن قطع الحياة سعياً إليه ! .

فهل تُرانى تائه فى بيداء حبك ، ضال فى صحراء غرامك . . وما أملى فيك إلا السراب البعيد .. ؟

سلمى . .

لو انك عرفت من أنا .. ولمست موضعى منك ، عندما أقبع فى الطريق . . أنظر إليك فى إعجاب وفضول . . لنظرت إلىّ ، ورأيتنى كما أراك ، ولتبادلنا النظرات فتكون الرؤيا كاملة ..!!

إن النظرة المغرمة الحالمة كالكهرباء فيها سالب وموجب . فإذا ما تلامس التياران السالب والموجب ، كانت نتيجة ذلك التلامس، تلك القوى الهائلة التى تعجز بإزائها قوى البشر .. وإنها لقوة ساحرة كقوة الحب التى تدين لها رقاب الجبابرة .. ! !

ولكن التيار إذا ما سرى من جانب واحد .. كان هو والعدم شيئاً واحداً أيضاً .. وهذا هو حالى معك .. فأنا أفنى حباً فيك وشوقاً اليك . وأنت لاتشعرين بى أين أنا منك .. !!

أنا لا أخفى عنك .. ولكننى أستطيع أن أقول : إننى ماثل فى خيالك .. ولكن بصورة غير الحقيقية ، على أنك تستطيعين أن تعلمى أن لى عينين لا تستطيع أية امرأة كائنة من كانت أن تحدق فيهما الا ويخالطها شىء من الأسى . . ولى جبهة دائمة التقطيب .. وليس ذلك عن عبوس طبيعى ، ولكنه لشدة الألم الذى يعصف برأسى ، لكثرة التفكير فيما أنا فيه من حرمان ، من ذلك الجمال الإلهى الذى أسبغه الله على إحدى بنات البشر ..

وهل يكون ذلك الجمال إلا سلمى . . ؟ !

سلمى .. هى القمر الذى أحلم فى ضيائه ، وما أجمل الأحلام فى ضوء القمر

يا فاتنتى . .

ربما لم تصل اليك رسائل من مجهول قبل الآن .. ولعلك لم تسمعى من قبل بمحب كتب لمعبودته الحسناء . يبثها نجواه ، وما يقاسيه من آلام ، دون أن يُظهر لها من شخصيته ما يمكنها به أن تعرف من هو ، أو كيف تستدل عليه .. ولاشك أن الدهشة قد أخذت تتسرب الى ذهنك من هذا المحب المغرم الذى يلف نفسه فى غلالة ، ويقبع فى الظلام مختفياً خلف أستاره ، بعيداً عن عينى من يحب .

ولربما داخلك الشك فى حقيقة هذا المحب ، الذى يبعث اليك

بثلاث رسائل ، دون أن يعلن لفتاته التى يعشق.. اسمه حتى ولا أى شىء ينم عنه ..

أنا أيضاً أشعر بما يخالط نفسك من غرابة فى هذا الصدد . ولكنك لو علمت أن الوقت الذى يجب أن تعرفى فيه من أنا .. لم يحن بعد ، وأنه آت لاريب فيه . وأنك فى يوم ما ستجدين نفسك وجهاً لوجه أمام رجل ليس من طائفة المجانين ، ولا من صحبة العابثين ، إذن لاسترحتِ . !!

على أننى سأقنع منك بالقليل فلن أريد إلا نظرة متسائلة .. وابتسامة ساخرة .. وتحية فى الطريق .. !!

رهبة الجمال

سبحانك اللهم يامن خلقت الجمال لنا فتنة ، وأرشدتنا أن نخاف الجمال ..!!

أى فتاتى : أنا لست أخشى شيئاً فى هذه الدنيا ، كما أخشى وجه الفتاة الحسناء ، لأن به شبكة ضيقة المنافذ ، لا يمكن أن تقتنص صيداً ويستطيع الإفلات منها .. وما أجمل وجهك وما أفتنه ..!!

حسنائى .. مرت أيام الشتاء الغامضة المكتئبة ، وكنت خلالها قد فررت بقلبى إلى عرض الصحراء ، لكى أستشفى من هذا الداء ، الذى أصاب فؤادى فى الصميم ، ظناً منى بأن الصحراء الواسعة ستتسع لقلبى الجريح ، فتلسيه جراحه الدامية ، وتخفف من وقع همومه وأحزانه . .

ولعلك تتساءلين : ولم الهموم والأحزان ، وأنت حر طليق ، لك أن تمرح وتصدح ، حيث طاب لك المرح والصدح ، وترقص كالطير فرحاً على أفنان الدوح ..؟؟

ولكنك لو علمت أننى حبيس فى كهف سحرك ، مقيد بأغلال هواك ، وما أنا بمؤمن أننى سأنال الرضى والقبول كمحبوب منك .. لا لشىء .. إلا لأن الفتاة التى أحبها قلبى ، مشغولة النهى بفتى سواى .

لو انك علمت ذلك .. لما قلت ، بل لما فكرت فى أننى حر طليق .!

أقول ظننت الصحراء مشفية قلبى من جراحه ، منسية إياه هواه .. وصراحة يافاتنتى شعرت بالراحة والهدوء وقتاً كنت إخاله سيمتد طويلا .. إلى الأبد .. ولكن ما راعنى إلا أن أرى الحقيقة المرة ..!!

فما كادت أيام الشتاء تمضى وتنقضى ، وما كاد يظل العالم طيف الربيع البديع .. فتخضوضر الأشجار ، وتتفتح الورود والأزهار حتى رأيت قلبى تعود إليه الحياة .. فيخفق هو أيضاً بأحلام الحب..!

كانت الطبيعة أيام الشتاء ساكنة كامنة ، والقلوب منكمشة جامدة . والحب منزو فى زواياها . لأن عوامل الجمال الإلهى الطبيعى فى الشتاء . لاتشجع ترعرع الحب ، وانتعاش الهوى ، لكأنى به نبات كأىّ نبات. وما أحوج القلوب فى الشتاء لتوهّج نيرانه . لتستدفىء بحرارتها المستحبة . !!

وتحرك حبى فى قلبى ، فنظرت فى الأعماق ، فإذا صورتك هى ما أحب وأقدس ، ففزعت وأيقنت أننى هالك لامحالة .

قاومت حبك ، ولكننى لم أستطع إقصاءه عن قلبى ، وهذه رسائلى من دمى وبدمى تُكتب ، فلاجناح عليك ، إذا ما احتفظت بها على مر الزمن .. وفاخرت بها أترابك وصويحباتك، ولكننى أستحلفك بكل عزيز لديك ، أن تخبرينى الحقيقة :

هل أنا هالك حقيقة كما أتوهم.؟ وهل أنت صعبة المنال كما يقال.؟

يا زهرتى الشذية :

إختبرى نفسك على انفراد وسائليها : أتستطيع أن تلقانى باسمة مستبشرة .. ؟؟ أم انها لاتزال نافرة منى كما ينفر الغزال من وحوش الغاب ..

وهل تستطيع أن تستأنس بى ، فتأنس إلىّ . . ؟؟ أم اننى مازلت عنها بعيداً .. ؟؟

تعالى إلىّ يافاتنتى لكى ننطلق كالفراشات فى رياض الأحلام ، نعانق الأزهار .. ونلثم أوراقها .. ونرشف منها الرّحيق ..!!

نارٌ ونور

ما كنت لأظن أن حبك بالغ مني ما بلغ ..!!

ألا ليتني ماضربت لك موعداً ، ولا طلبت منك اللقاء ، فكنت أظل كما أنا أحلم في ظلال هواك، بعطفك وإشفاقك عليّ .. وفي هذا من السعادة الروحية العالية ، ما لست بمستطيع الأحساس به الآن .. بعد ما خبا شعاع الرجاء ، وتصدّع صرح الأمل الذي كان يظل نفسي بأحلام سحرية ، لا يسمو إلى الشعور بها ، إلا كل من أدرك قلبه الحب ..!!

فالحب معنى قُدسيّ يهبط على النفوس الشاعرة . فيملأ جَنباتها بنور عجيب ساحر ، يُذهب ظلمتها شيئاً فشيئاً ، حتى إذا ما اكتمل نورها .. ارتفع بها إلى السماء حيث تسعد في جنات ونعيم .. !!

أي سلمى .. !!

لقد كان مَثَلي فيما فعلتُ ، مَثَل ذلك الرجل الذي يروون عنه في الأساطير ، أنه كان يملك أوزّة تبيض له كل يوم بيضة من ذهب ، فأوعزت إليه نفسه أن يحصل على ذهبها المكتنز في جوفها دفعة واحدة ، فذبحها .. ففقد بذبحها كل شيء ..!!

وهأنذا قد أردت أن أرتفع إلى ما فوق السحاب ، بسماع صوتك تتحدثين إليّ . وفي بريق عينيك أحلام هائمة وأنت تحدقين في وجهي ، مستطلعة كوامن نفسي الخفية .. وبين الحين والحين أرفع يدك الجميلة إلى شفتيّ ، فأطبع عليها قبلة حارة ، أشفق منها على بشرتها الناعمة أن تحترق ..!

خُيل إلىّ أننى من السعادة قاب قوسين أو أدنى .. وجعل قلبى يخفق وتتدارك دقاته .. كلما دنا الموعد .. وكلما اشتدت خفقاته ، غشت عينى سحابة سترت عنى نور الدنيا .. لست أدرى ماهى ، ولا أعرف كنهها .. حتى إذا لم يبق إلا دقيقتان .. لاح عن بُعد ثوب كثوبك ..!!

تصاعد الدم إلى وجهى ، واعترانى مايشبه الحمى القاسية ، وجعل القلب يخفق بشدة .. وفيما يشبه الغيبوبة الحالمة .. ذهبت إلى حين .. !!

وجعلت الفتاة تتقدم كالرسم الجميل .. وكأنى بموكب من الملائكة الأبرار ، يتقدمها كالهالة الشعاعية التى تسبق قرص الشمس عند الشروق ، مطلقاً فى الجو بخوراً ساحراً ، جعلنى أحلق فى أحلام روحية عالية ، لم أشعر بمثلها من قبل . فهل هذه هى أحلام الحب ..؟؟

إن كانت كذلك .. فما أشنع الحياة خالية منه ومن أحلامه..!

وعلى حين غرة ..قهقه الشيطان بصوت كالرعد القاصف .. فثبتُ إلى رشادى .. فإذا الموكب قد تلاشى ،وإذا الفتاة المارة غيرك وليس لها منك إلا جمال القد .. !!

وانقضت الدقائق ، وأخذ نجم السعادة الموهومة شيئاً فشيئاً يأفل .. حتى إذا ما آذنت الساعة السادسة ، توارت الشمس خلف أستار الغسق ، الذى يغزو الأفق البعيد ، ويظل السماء بظل أقتم. فيرسل أمام النفوس أشباح الفناء متراقصة ، فتحوم الدموع فى المآقى ، ولكنها لاتتحدر . بل ترزح فوق الصدور ، ملقية عليها

ظلالا مرتعشة ، تبعث ضيقاً مضنياً ، لا يمسحه إلا الظلام المطلق المطبق، الذى يتفجر أمام النفوس بنور جديد صادر من الأعماق.!

وبغروب الشمس .. أطبق علىّ ليل الحياة الأليل ، الذى استطال كأن لا فجر له ، ولا نهار بعده ، وبذلك ودعت نهاراً كنتُ إخاله سعيداً بما أرقبه فى نهايته من أمل عذب .. وأقبل ليل حزين بما توارى بين سُجُف ظلامه من رجاء ..!!

واتجهت إلى مقهى « فينوس » . فينوس إلهة الجمال عند الأغارقة الأقدمين، التى فتنت كل الأرباب، وبفضلهم دانت لها رؤوس البشر.!

وانبعثت فى مخيلتى صورتان ..!!

صورتك .. وصورة فينوس ..!!

وجعلتُ أفاضل بين هذا الجمال الإلهى ، الذى تدب فيه حرارة الحياة ، وقد أبدعته يد الخلاق ، جلّ وعلا.. وذلك الجمال المثالى الذى لا حرارة فيه ولا حياة .. فتبين لى أن الإنسان عاجز عن أن يقلد ، فيتقن فن الخلاق العظيم .. !!

قصرَت فينوس وهى إلهة الجمال المثالى، عن أن تطاولك جمالا وجلالا .. فانعمى بحسنك وكونى رحيمة بقلوب البشر .. !!

وبينما أنا مطرق مستغرق ، إذا ببائع كتب يمر بى ، وإذا بى ألمح فى يده كتاباً أسود .. يخيم الحزن على غلافه ، ويرسم حوله خيوط قصة تلوح وكأنها مأساة .. فابتعته منه بدافع نفسىّ مبهم. فاذا به قصة ..!! وأية قصة هى . ؟؟

إنها قصة حب وشقاء وفى نهايتها ضحية .!!

إنها قصتى معك، جاء الرجل يبيعها إلىّ ، وإن كانت فصولها بعد لم تتم. لكأنى به يعرف سر مأساتى، وماسوف انتهى إليه من مصير.!

أما القصة فقصة شاب فرنسى يدعى « رينان » أحب فتاة سحرته فتنتها ، وجذبه حسنها البهيج إليها ، فجعل يحلم فى ظلال هواها ، فاذا أحلامه تشرق عليها الشمس فتذهب بجمالها أباديد . وتبدو له الحقيقة المرة ، واضحة فى غير مواربة ، فقد عرف أن فتاته التى هام بها ، تحب رجلا غيره . !

وقاوم حبها ، فأخفق فى مقاومة جبروته الذى سيطر على نفسه وتملك منه حواسه ، فاستسلم لقضاء الله فيه ، وقدره عليه . وأقام على حبها يقدسها . ويعبد طيفها ، حتى أدركه اليأس ، فانتحر .

مسكين ذلك الفتى رينان . ومسكين أنا ، إذا حتم القضاء علىّ أن أكون مثله فى ربوع مصر ، ولما ينقض على موته فى ربوع باريس ، ربع قرن من الزمان .. !

آه ما أقسى قلوب الحسان ، فإذا ماشعرن بأن أحداً يحبهن ، زدن دلا عليه ، وصداً عنه ، ثم لايتورعن عن أن يقتلنه ، ويدّعين أن ذلك ضرب من ضروب الدّل . !

أريد أن أكتب إليك كثيراً ، ولكننى لا أدرى ماذا أكتب ، ولا مايجب أن أقول ، ذلك لأن الكلام يتزاحم فى رأسى ، ويتسابق إلى سن القلم ، ولكنه فى تسابقه وتزاحمه ، يُضيّع بعضه بعضاً ، ومع ذلك ترينى مصراً على أن أكتب إليك رسالتى ، لأشكوك أحزانى ، وإن كنت على ثقة من أنها لن تلقى منك اهتماماً ولا عناية .

وأخيراً أخشى أن أكون قد أثقلت عليك ، فأرهقتك بكثرة الكتابة التى ربما اعتبرتها ثرثرة فارغة ، فى حين أننى أعدّها منفسة عن القلب ، إذ هى منه .. وأعلق عليها آمالا كثيرة . !!

معنويّة الحب

أرى مَثَلى معك مَثَل الفراشة الحائمة حول اللهب ، تشعر بحرارته القاسية وتخشاها . ولكن لونه اللازَوَرْدِىّ الفاتن، يجذبها اليه ، فتظل هائمة حوله ، حتى يدركها .. فتحترق .!!

كنت أقرأ عن الحب أنه جحيم ، والعاشقين حطبه . فأسخر من هذا القول، ومن قائليه وكنت أمر بهذه العبارات دون اكتراث ودون أن أحس لها طعماً ، ولا معنى .. ذلك لأن اللفظ لا يمكن أن يتذوّق الإنسان معناه ، ويحس بماله من صدى متجاوب ، إلا إذا اتصل بشىء دخيل فى أعماقه وفى نفسه ، لكى يحدث اتصالهما شرراً معنوياً ، يحمل النفس على أن تتذوقه ، وأن تحسه .!

وكنت أقرأ من أخبار المحبين ، ما كنت أستغربه ، وأعزوه إلى أنه جمال خيال ، وبراعة فن ، ورقة فى الإحساس ، تدرك فئة من الناس ، ألا وهم إخواننا الكتاب والشعراء .

وبحال كنت أصدق قصة كقصة صاحبنا رينان الفرنسى ، الذى حدثتك بأمره فى رسالتى السابقة ، لو لم أكن قد طُعنت، ومازال الجرح الذى أحدثته الطعنة ينزف دماً قانياً ، يسيل دون هوادة .

وكنت أكذّب ما أسرف فيه الكتاب عن قيس وليلى ، وحبهما ، وأعده ضرباً من المبالغة لا يمكن أن يحدث . وكنت وكنت.. حتى أرسلك لى الله لكى أهتدى على يديك بنور الحب وأصْلى فى جحيمه العذاب الأليم .!!

ومن أعجب ما نسجته يد الأيام ، هو أن يحس امرىء حباً نحو

غريمه .. لا لشيء .. إلا لأن حبيبه الذى يهواه .. يحبه .. !!

ولقد أحسست بهذا المعنى القدسى ، الجليل ، الجديد .. بعد أن عرفت حبك ، وجرعت من كأسه جرعات .. إذ أحببت « أنور » معك ، ذلك لأنه يحبك، وأنت معجبة به ، فكل ماتحبين أحب ، وكل من يحبك أحبه ، وكل ماتبغضين أبغضه .. حتى أننى لأكاد أخلط فى أمر نفسى ، فأعلل حبى لها، لما فيها من مَيْل اليك، وتقديس لشخصك ، . وبُغضى إياها فى بعض الأحايين ، لأننى أشعر أنك لاتحبينها ، بل تنفرين منها .. !!

قولى له يافتاتى : ألاّ ذنب لى فى حبك . فقد أحببتك كما أحبك هو ، ذلك لأنك شىء يُعبَدْ . ولا يحسبنّ أنىّ مزاحم له فيك ، أريد اغتصابك منه ، والاستئثار بك دونه .. كلا . كلا . وأننى لا أحسده، وإنما أغبطه، وأضرع إليك ألا تسفهى أحلام هواه ، فى يوم ما .. حتى لايتعذب ، لأننى أحس لوعة الحرمان تحرق كبدى الممزق ، فلا أريد لأحد من البشر أن يحترق كما أحترق .!

ثم قولى له ياساحرتى : إن كان يعد حبى لك ذنباً ، فما أنا المذنب ، وإن كان يظنه جريرة ، فما أنا الجانى ، وإنما أنا ضحية ، وجُناتى ثلاثة يافاتنتى : جمالك .. وعيونك .. وقلبى .!

ثلاثة اجتمعوا على الفتك بى، ولست أدرى ، هل أنا بنجوة من فتكهم .. أم أنا فريسة لينة طيعة ..!!

ولو كُتبتْ لى النجاة فلا إخالها إلا على يديك ، ولا أحسبك منقذتى من هلاكى الذى أتقدم نحوه بخطى مسرعة .. !

أحزان قلب

أورق الأيك واخضوضر، وابتسم الروض وأزهر . . وتنفست أزهاره أسرار الحياة العاطرة ؛ فأثملت الكون بعبيرها الأرج .. الذى يسمونه : خمر الربيع .

وانتشت العصافير والأطيار، فقامت تشدو على أفانين الدوح الظليل، وسرى النسيم البليل، فى الروض الجميل .. ينشر الألحان ..

وطربت الأغصان . فراحت تهتز وتتمايل، متلامسة هامسة، بما فى اللحن من سحر، وودت لو ان الربيع لاينقضى، حتى لايدركها خريف حياتها .. فالشتاء . حيث لا تغريد ولا ترديد ، عندما تجفوها الأطيار التى تحج اليها ، وعليها الآن تتزاحم . ؟

وهمس النسيم بما حمله الطير من سر ، فى آذان زهر الذكريات الناعس يحلم ، فاهتز راقصاً وهو وسنان ، وتبسم .!

سُر الروض بما فيه من عشب وشجر ، وضحكت شمسه ، فأشرقت سماؤه .. ولكن أحداً بين هذه الكائنات ، لم يستطع السرور والبهجة أن يطرقا قلبه المحزون .

ذلك المكتئب الحزين .. هو أنا . . وقد رحت أتساءل :

أوَ للعصفور قلب خافق بين ضلوعه . .؟؟

أتراه قد عرف الحب . .؟ وهل سالت دموعه . .؟

لاريب أنه وإن كان له قلب ، لم يعرف الحب .. وإلا لكان كئيباً مثلى . . وما كان له أن يشدو على الفنن أو يتغنى . . !!

يازهرتى النضرة . .

لقد أورث الحب . . حبك . . فؤادى المسكين ذلا وانكساراً مريراً . . وكان حراً قبل أن تأسره سهام لحظك ، ولم يشمل إلا عندما تجرع كأس هواك المسكر . . وكان قانعاً راضياً بحياته . . تلك الحياة التى كانت قاصرة على العبث فى السر والجهر . . مستعذباً كل كأس تُقدّم اليه ، شاعراً وهو يترشّفها أنه إنما يترشّف سُلافاً جميلا .

أما الآن . . فوارحمتاه لك ياقلبى . . وارحمتاه لك يامن عشت عزيزاً أبياً ، لم تعرف الذّل قبل أن يدركك الحب ، ويقتلك الذّل من هذه الفاتنة القاسية .

يا قاتلتى . .

لم يقسو الجمال وفى قسوته قتل لمن يقسو عليه . . ؟؟

أيتها الزهرة الباسمة فى روض الجمال الانسانى البهيج . .

يبسم الكون إذا لاح ابتسام . . فوق ثغرك . . ويغنى ويسود النفس والدنيا ظلام . . يوم هجرك . . والتجنى

فارحمى قلبى . . واقبلى حبى . . إننى حيران . . !!

كأسٌ وكأس

اليوم عيد الربيع البديع ، وقد هجر القوم مضاجعهم منذ البكور ، إلى الحدائق والرياض . . ولا همّ لأحد إلاّ الاستمتاع بمباهج الحياة ، وقد لبست الطبيعة أنضر أثواب الجمال . . !!

كل محب إلى جوار من يحب .. وكل عاشق بجانب من يعشق ، تسير مواكبهم بين الرياض ، وهم يَسْبحون فى حدائق الأحلام ، ويُسبّحون بحمد الله والجمال . . وكأنى بهم جميعاً فى الجنة يَنعمون . !

وأنت . . !!

وأنور . . !!

على شاطىء البحر العظيم تسبحان فى حلم لذيذ . . ليس لجماله وصف ، ولا لنهايته حدود ، تسرّحان الطرف فى الماء ، وقد أطبقت عليه السماء ، فينطبق الأفق على اللجة الهائلة . . ولكن أحلامكما العذبة ، تكاد تخترق تلك الحجب ، لتنفذ من ورائها إلى عالم مجهول .

إنكما تشهدان البحر الخضم على حب عظيم ، وقد شهد مثله منذ زمان بعيد . . حب قيصر وكليوباترا . . !!

إنكما الآن فى غمار السعادة تنعمان وتحلمان ، أما أنا ، أنا الشقى فى وحدتى هنا ، قد تجنبت العالم كله ، حتى لا يذكرنى مرأى العشاق فى الرياض ، بما صار اليه حظى العاثر . . وما صار نصيبى من الدنيا وممن أحب . . ألا وهو الحرمان . . !!

هنا فى وحدتى بين الجدران الأربعة .. أناجى حبيبى ، وأمامى زهرة واحدة تبسم !!

ترى .. هل تعلم هذه الزهرة الزرقاء ، بما فى النفس من آلام جسام . لذا فهى تبسم لتروّح عنى ما ألاقى من عناء . . ؟؟

أم هى يا ترى تزاحم فتاتى على قلبى ، تريد أن تحتله ، لذلك فهى تتراقص بين أصابع النسيم ، مجتهدة أن تأتى بما يستلفت نظرى أو يثير اهتمامى . . ؟؟

يا فاتنتى سلمى :

كل هذه المباهج لا أستطيع أن أراها ، أو ألقى بالا إليها ، لأن الزهرة التى أحبها قلبى ، وسيطرت فى نفسى على كل أحاسيسها ، هى الآن بعيدة عنى ، تنعم إلى جوار رجل آخر . !

وكما تطوف أشعة الشمس ، بكل كائن فى الأرض ، فى هذا اليوم المشرق ، كذلك يطوف روحك بقلبى ، والجو الذى أتنفس فيه ، ويملأ علىّ الفراغ الذى أحتله ، فأحيا به ومنه وله . !

أما أنت .. فأكبر الظن أنك اليوم لا تذكرين الشاعر المسكين الذى يريق دمعه ودمه ، كل يوم فى سبيلك ، وفى سبيل هواك . !

أغنية الربيع

أى سلمى . .

الدنيا . . فى جمال ربيعها باسمة . . وأنت . . فى ربيع حسنك ناعمة حالمة . . وأنا . . بين هذا وذاك . . حائر . . هائم . . !!

أما ربيع الدنيا . فإنه فى كل عام يتجدد ، ويتبدد . . وأما ربيع حسنك فنى كل لحظة يتجدد . . ويكمل . ولن يتبدد . !

أنظر الوردة الحمراء ، تبسم على هام فرعها للحياة . . ومن الحياة . . تفاخر الشمس ، وتشمخر بأنفها جلالا . فأعجب . ولكنى سرعان ما أحس نقصاً يعترى هذا الجمال ، نقص يوحى به قلبى ، فتحسه نفسى . . فأنطلق بفكرى باحثاً عن مصدره ، وأخيراً ، أعود من سياحتى الفكرية ، وقد اهتديت إلى سره ، ومصدر أمره . وهو أن احمرارها الفاتن ، فى حاجة لبعض من الجاذبية التى فى وجنتيك

وأسمع الأغنية الشجية فأطرب . وتهتاج أحلام حبى ، فى جنبات قلبى ألحانها . فأسبح معها فى ملكوت سحرى ، لا إخاله إلا عالماً من عوالم الجنات . . ورويداً . . رويداً ، أحس نقصاً فى هذه الألحان .

أتدرين ما الذى ينقصها لتبلغ درجة الكمال الأسمى ؟؟ ذلك أنها فى حاجة لأن تشيعها أنفاسك العطرة ، إلى أبراج السماء ، لتصير سحراً لا ينفك منه البشر . ! !

وكنت قبل أن التقيك ، أكثر من التأمل فى كل شىء جميل ،

مقدّسا فيه جماله . ولكنى اليوم أطأطىء الرأس ، لعبقرية جمالك أنت ، مقدساً إياه فى كل شىء .

وإذ أجلس على حافة الغدير المترقرق ، وأسمع الماء فى حفيفه يصفق .. ثم يتكسر فى جريانه ، فيحدث أمواجاً تلوح وكأنها تحتضن وجهاً مشرقاً ، وثغراً يبسم .. كما يحتضن كم الزهرة أوراقها ، ذلك الثغر الوضىء .. المضىء .. هو ثغرك .. تهيم فى ابتسامته أحلام الأمل ، وتحوم حوله ظلال القبل .. كالفراشات الفضية ترفرف فوق أزهار البنفسج .. ؟؟

ياجنتى .. يا نعيمى .. !!

إن الإخلاص نور عجيب ، يملأ النفس بالجمال ، ويهديها إلى السبيل السوى ، فتسعد فى الدنيا .. وليس لهذا النور العجيب الساحر من روح يمده بالقوة ، ليدوم سطوعه .. غير الحب ..

قرأت هذه الكلمات التى سطرت أخيراً ، فى أعماق نفسى ، عند ما أخلصت لك حبى ، واهتديت بنوره .. واندفعت وراءك أقبل أذيالك .. وأقدام ظلك ، وأنت لاتشعرين .. وإننى بهذا لسعيد قرير .. ! !

فلسفة الحرمان

يا حبيبتى :

أنا شقى فى حبك ، سعيد به .. ولعلك تتساءلين : وكيف تجتمع السعادة والشقاء فى قلب واحد .. وبشىء واحد . ؟؟

أما الجواب على هذا يا فاتنتى ، فهو أننى أحبك بلا أمل فى لقائك ورضائك .. وفى هذا الضرب من الحب الميؤوس فيه ، أقسى ألوان الشقاء . ذلك لأنه شقاء أبدى لانهاية له ، شقاء يذيب حبات القلب هماً ، ويفرى سويداء الفؤاد كمداً ، وما أشنع الهم ، وما أبشع الكمد .. ! !

وكما أنه يشقينى إلى هذا الحد البعيد الذى بَيَّنتُ . فإنه يسعدنى .. ذلك لأنه يفضّ مغاليق الحياة الحالمة الناظرى ، فأستطيع أن أرى دنيا جديدة وأعيش فيها وقتاً بين الفتنة والجمال ،، وأن أحلم بسعادة غامرة سوف يظفر بها القلب بين يديك ، وإن كانت الأيام لن تحقق هذه الأحلام .. !

ولا تظنى يأسى فى حبك ، لأننى غير جدير بك ، أو لأن فى ما يُدخل اليأس على نفسى منك .. كلا .. كلا .. فأنا شاب معتدّ بنفسه ، فخور بماله من صفات وخلال يحسده عليها الكثيرون من أترابه ، ولكن باعث اليأس فى النفس .. ماهو إلا لأننى لا أحب أن أعتدى على حق أحد ، اعتداء أرى أنه سيسبب له بعض الشقاء ، كأن أدخل حصن غرامه ، فأختطف جوهرة أحلامه ، التى يحرص عليها الحرص كله .. حتى لا يتألم بسببى .. فاننى أفرّق من الآلام ، فقد تذوّقتها مرة قاسية .. ولا أريدها لأنور .. لأنه صفيك .

إذن .. فليسعد بك أنور ، ولتسعدى به .. ولأشق وحدى .. !!

صراحة ياعزيزتى أننى انغمست فترة من فترات الطيش ، فى بحران الرذيلة ، فنهلت من أقداحها الكثير ، منها المرير المقذع ، ومنها العذب الذى كان يبعث فى النفس نشوة ، تستطيب معها الحياة إلى حين . !

وما هذا إلا لأننى شاب له شعور كل شاب ، لاحصانة فى نفسه من طيش ، أو نزق ، أو غواية .. هذه الهنات التى تلازم كل إنسان فى فجر شبابه ، وبكورة صباه .. وكنت وقتذاك قريراً طروباً .. فلقد كانت لياليا جميعها حمراء .. !!

والليالى الحمراء .. هى الليالى العابثة المستهترة ، التى يخرج فيها الإنسان عن طوره ، فيحالف الشيطان ..

ولا أكون مغالياً فى شىء ، إذا ماقلت لك إننى كنت فى تلك الليالى الحمراء أكثر من شيطان .. وكانت لى فيها صولات وجولات لن ينساها لى الصحب والخلان ، الذين انزويت عنهم الآن ، فى كهف الهوى أتعبد .. !!

ولم أكُ وقتذاك قد شعرت بحب أو بألم من أجل امرأة .. بل كنت أرى النساء ما هن إلا ألاعيب ، يجلبن اللذة ، ويُذهبن الحزَنْ .. وما على المتبئس من أدران الحياة ، إلا أن يلقى بجسده بين ذراعى إحداهن ، لكى ينسى كل شىء إلى حين .. !!

كنت كذلك إلى وقت ليس بالبعيد .. إلى أن وقعت من قلبى ، موقع قطرة الطل الهاطلة ، من أوراق الزهرة الذابلة . !

كان قلبى ميتاً فأحييته بجمالك الندِىّ .. كان ميتاً لأنه لم ينتعش

بارَج الحب ، ولم يترَشّف شيئاً من رحيق خمره المسكر .. كان لا يعرف الحياة إلا أنها عمل .. ثم جسد امرأة ..!!

كان ذلك قائماً فى نفسى ، مسيطراً عليها ، فلم يكن ثمة اتصال فيما بين الروح والنفس .. بل كانت كل منهما فى معزل عن الأخرى ، وإن كانتا تقيمان فى إهاب جسد واحد .. حتى إذا ما جاء طيفك ، ربط بينهما برباط وثيق ، فانصرفت النفس عن كل ما هو مادة ، سواء أكان جسداً حياً أو غير حى .. وجعلتْ الحياة تنفحها من جديد ، بشذاها الرّوحى الذى تنفستِه أنت عبيراً طيباً .. فخفق القلب .. بأحلام الحب .. !! •

ومُذ تنشقت نفح حبك ، عزُفت نفسى عن جميع الآثام ، فغدوت رجلا طاهر الذيل ، لكأنما تطهرتُ فى اللهيب المقدس ، الذى من شرره اتقدت نيران الهوى العذرى .. وما كنت لأظن أن يوماً سيجىء ، وقد جانبت فيه السبيل الذى كنت أفضله على كل سبيل ..!!

كنت أعتقد أن جسد المرأة ، هو كل ما فى الحياة من متاع ، وكان الظفر به عندى غاية الغايات . وكان ميزان الجمال فى رأى ، هو التفاف الساق ، ونحولة الخصر ، إذ عليهما يتوقف قوام الجسد .. أما الوجه .. فكان يكفينى منه ألا يكون قبيحاً ، وأن يزدان بعينين نجلاوين ، يقرأ المتطلع اليهما فى أغوارهما أسراراً مبهمة ، تلوّح بعوالم خفية .. وليست تلك العيون البلهاء التى تعلن عن كل ما فى الأعماق ..

هذا نَمَت الصداقة بينى وبين الكثيرات من صويحبات الأجساد

المثالية ، ممن لايجد المدقق عيباً واحداً فى أجسامهن .. وما كنت لأحفل بجمال الروح . . وما فى الوجه من سحر حلال .. !!

وبالأمس . . الأمس القريب ، لقيت إحداهن ، فصافحتها . وجعلت أتحدث اليها وقتاً ليس بالقصير ، لم أشعر خلاله بميل نحو هذا الجسد الذى كنت أهفو اليه، ولم أدَع فيه موضعاً إلا قبلته.

أجل . . قبلتها من رأسها حتى القدم .. كما قبلت غيرها فى كل مكان من جسدها الرّخْص الجميل ، كما تقبل الدّمى ، ففى اعتقادى أن كل جسد جميل فيه حيوية وحرارة ، يجب أن يحيّيه الرجل الذى يظفر به .. وما التحية التى يستحقها إلا أن يغسله بالقبلات، ويخالطه بكل حاسة فى جسده ، اللهم إلا الجبين ، فما كنت لأمسّه بشفتىّ مطلقاً . فما جُعل جبين المرأة إلا ليتلقى قبلات أبيها وأمها والمحرمين عليها .. أما بقية الجسد فلكل قبلة آثمة أن تكويه بما فيها من حريق متسعّر .. ولكل رجل أوْغل فى الغىّ والبغى ، أن يغرقه بجحيم قبلاته .

ولقد كنت على استعداد لأن أجامل صاحبة الأمس .. لولا أن لاح لى فى الأفق البعيد .. وجه ينظر إلىّ بعينين حادتى النظرات فيهما عتب وصرامة .. فإذا بى أتركها وأمضى دون أن أسلم ، وبغير إشارة منى تؤذن بالانصراف

أما الوجه الذى نهانى عن المضى فى طريق الرذيلة ، فما هو إلا وجهك يا فتاتى . وجهك الذى قادنى ، فنأى بى عن مهاوى الزلل .

وهنا علمت أن قداسة الروح ، ومادية الجسد ، أمران لا يتفقان، وأن روحى قد تطهّر بفضل ما أيقظه فيه هواك من فضائل .. فتوارت نزعات الجسد . !

عتب

أيمكن هذا . . ؟؟

وهل حقيقة ماقيل من أن رسائلى لا تُقرأ منك أنت فحسب، وإنما تتناولها عيون كثيرة لايعنيها من الأمر شيء . . ؟؟

لقد رضيتُ أول الأمر إذ علمت أنك قد أطلعت أنْوَرَكِ عليها ، وقدّرتُ مافعلتِ . . إذ يُعدّ ضرباً من الإخلاص لايمكن أن يُعاب . . !

وكذلك الفتاة التى عرضتِ عليها رسائلى الثلاث الأولى ، إذ عزَوْتُ إطّلاعك إياها على رسائل تصل إليك من مجهول ، فيها إشادة بحسنك وجمالك . وما لك من سلطان يقهر النفوس الحصينة، عزوت ذلك كله ، إلى نوع من المباهاة ، أصيل فى نفوس الحسان الغيد ، إذ يردْن حمل العالم أجمع على الاعتراف بدولة الحسن التى يسيطرن عليها، بما وهبتهن الطبيعة من جمال فشيب، ويقارعن كل من يحاول المعارضة فى جلاله ، أو الانتقاص من كماله ، بالحجة والبرهان . . وهل هناك دليل أقوى من أن تجد الحسناء فى يدها صكاً فيه اعتراف وخضوع . . ؟؟

وأعلم أن جمال الفتاة ، لاينتقصه إلا فتاة أخرى من أترابها . يحملها على ذلك أمور كثيرة . . إما مشاكسة بريئة ، أو حقد أعمى أو غيرة طائشة ، أو كراهية سوداء . . ولهذا فقد أردت أن تمضى أمام صاحبتك ـ التى لا أعتقد إلا أنها تشاكسك مشاكسة بريئة ـ برهاناً قوياً يثبت أنك حسناء ، وما هى فى حاجة لبرهان

مادامت لها عينان تريان .. فوجهك، وجسمك، وكل مافيك حجة دامغة تثبت ذلك دون جدال .. !

وكيف لا .. وأنت تستطيعين أن تفاخرى الشمس، وأن تباهى القمر.. ولو سئلت أنا ، أو سئل أى إنسان آخر .. ما هى الفتنة وما هو السحر ، وما هو الجمال .. ؟؟ لما كان الجواب الا : «كل هذه سلمى .. !! »

هذان أمران معقولان ، وأنا لا ألومك على أحدهما ، إن كان لى أن أوجه إليك لوماً أو تعذيراً .. أما الأمر الذى أقلقنى ، وأصغر من شأن نفسى أمام نفسى ، هو أن تمتد عيون أخرى لتقرأ رسائلى ، وأن تصير هذه الرسائل التى كتبت بدم ذكى ، يكاد يحترق مما بعثه فيه حبك من حرارة زائدة .. أن تصير هذه الرسائل موضوع نقاش وجدل.. وليس هذا فحسب.. بل وتكهنات وحدس وتخمين، فيما سيكون ، وفيما لن يكون .. حتى أن البعض لم يتورع عن اتهامك بأنك لابد رأيتنى وكلمتنى ، وإلا لما تجرأت على الكتابة اليك . .

وإننى لأستطيع أن أقول ، إنك أنت التى جررت على نفسك هذا الاتهام .. وفى إمكانى أن أصفك يوم وصلتك رسالتى الرابعة، وتداولتها أيد كثيرة ، منها ما كنت راضية عنها ، ومنها ما ناولتها إليها وأنت راغمة .. وإننى لأشبهك ساعتئذ بالزهرة النضرة ، تحوم حولها مجموعة من الفراشات الجميلة ، والنحل القاسى اللذعات .. وترى أنه لمن المحتم عليها أن تتقبل الفراشات وتلاطفها وتهبها من لدنها بعض الرحيق ، كما تستسلم لارادة النحلة .. وهى ترجو ألا يصيبها المؤذى بوخزة من وَخزاته ، حتى لا تتألم .. !

يا عزيزتى سلمى .. !!

لو علمتِ أننى حمدت لك عدم الحضور فى الموعد الذى طلبتُ اليك الحضور فيه يوم ١٣ مارس الماضى(١) .. وأننى لن أحاول أن أضرب لك موعداً آخر ، لكى تطول شُقة البعد بينى وبينك، وأننى أتحاشى لقاءك كلما صادفتك فى الطريق ، حتى لا يزيد مرآك نيران قلبى المتسعّرة، تأججاً واشتعالا، لعلنى أستشفى من هذا الداء الذى أصاب فؤادى فى الصميم، فاعتل به وصار سقيما .. وأن هذه الرسائل التى أبعث بها اليك، ماهى إلا شكاية نفس معذبة شقية ، وكانت تكون شافية لها ، لو انها تصل إلى أذنيك الجميلتين كالنجوى، فلا يظفر بسماع حرف من أحرفها أحد.. ولا تتعداك لأكثر من أنور .. !!

ولعلك تعجبين من عدم مبالاتى بأن يعرف أنور كل شىء . . ولكنك لو علمت أننى لا أخشاه فى أمرى معك ، لما عجبت . . ولما كلفت نفسك عناء الاستغراب والدهشة ، ذلك لأنه أحب وتعذب . . وأقول تعذب . . لأن للحب هواجسه التى تشقى النفس مهما كانت مطمئنة إلى من تحب .. وكل من تذوّق الحب، لاريب أنه يعطف على من وقعوا فى إساره ، ويرثى لهم ، ويرحم آلامهم. خصوصاً إذا كان الشرَك الذى تصيد قلوبهم ، هو ذات الشرك الذى وقع فيه . . فعلى قدْر سعادته ، يستطيع أن يلمس شقاء الآخرين .. !!

لو علمتِ كل ما فات سرده ، لما امتهنت قداسة رسائلى، فجعلتها معرضاً لمن يدرى ومن لا يدرى.. ولن أكون مغالياً أو متكهناً

(١) مارس سنة ١٩٣٨

إذا ماقلت لك إن البعض طلب اليك ، أن يأخذها منك ، لينقل ما بها حتى يمكنه السعى به إلى قلوب يريد أن يغزُوَها ، ولقد بلغ من استهانتك بأمرها ، أن أجبت ذلك البعض القاصر الذهن ، البارد العاطفة .. إلى مايطلب .. !!

وإنى لأستطيع أن أقول لك : إنها الآن ليست عندك ، وإنما أخذتها يدأخرى عاجزة ، لتنقل ما بها من آهات وآلام ، ثم تعيدها اليك ثانية ، أو لا تعيدها أبداً ، لأن الذى بها لا يعنى صاحب تلك اليد ، ولن يحرّك فى نفسه شفقة ، نحو من سطرها بدم قلبه ودموعه .. !!

يا جميلتى ..

لو انك أقبلتِ على رسائلى ، وخلوتِ اليها ، بعض إقبالك على أنور .. واستماعك اليه ، لتفتحتْ لكَ كل لحظة عن معان جديدة تبهر النفس وتسر الفؤاد .. ولسرى ذلك الإحساس إلى نفسى فاستراحت من عناء ماتلاقى ، لأن التوقير الذى يصيبه الرسول ممن أرسل إليه ، لا ريب أنه من لون ما سيعامل به مرسله .!

رباه .. ألا ما أسعد الإنسان إذ يظفر بإخلاص من يحب .؟

سُحب وغيوم

عندما يحب القلب ، تتراءى له أعاظم الأمور فى الدنيا صغيرة، إلاّ ما يتعلق بحبه وحبيبه .. وإن تملكته رغبة سامية فى أن يكون عظيما فى شىء ، فليس ذلك لكى ينال إعجاب الناس، وإعظامهم .. وإنما ليحظى بتقدير من يحب ..!

ولقد كنت فيما مضى من أيام الحياة ، أسمع الناس يرفعون أصواتهم هاتفين، بحياة زعيم من الزعماء ، فتهفو نفسى لأن أكون أنا هو هذا الزعيم .. وأن تكون هذه الهتافات ، باسمى ، ولى .. وأروح أصوّر فى خيالى ، ما يشعر به الزعماء من سعادة غامرة ، عندما يسمعون الأصوات تتعالى ، هاتفة بأسمائهم ، وكيف أنهم يرْقون إلى السموات العلى ، فيقيمون فى أحد أبراجها العالية ، لا يرون الأرض ومن عليها ، إذ يحجبها عنهم ، ما أمام عيونهم من سحب كثيفة ، تستر عنهم كل شىء صغير !

وكنت إذا وقعت عينى على روض زاهر ، فيه من الجمال فنّ عظيم .. تمنيت لو أقيم به حينا ، أمتع طرفى باستجلاء محاسنه ، التى أسبغتها عليه الطبيعة الساحرة فى بهاء وجلال . . فأسبح مع أزاهيره فى آفاق الربيع البهيج، عندما تحلم تحت ضياء القمر ، وقد أثملها الفجر بقطراته النديّة

وكلما رأيت قصراً منيفاً ... اشتهيت أن أكون أنا ساكنه .. والمهيمن عليه ، لما فى سكنى القصور من لذة ، ونعيم مقيم !

كنت كذلك فيما مضى .. إبّان أن كنت خليا .. يستهوى نفسى كل شىء فيه قليل من العظمة والجمال .. أما اليوم بعد أن تذوّقتُ

حلاوة الحب ، ومرارته على يديك ، فقد أصبحت لا يعنينى أن أسمع صوتا مرسلا باسمى ، إلا من بين شفتيك ، ولو فى لهجة رقيقة آمرة .

وصارت نفسى ، لاتحب أن تستمتع بجمال الروض .. إلا فى خديك .. ففيهما باقة ورد يانعة ، لايمكن أن تذبل . .

وصرت لا أقترح على دهرى ، أكثر من أن أسكن زاوية صغيرة من زوايا قلبك ، إذ أن الإقامة فيه لحظة واحدة . . هى عندى خلود عظيم !

أقول . . عندما يحب القلب . . ولم أقل عندما يحب المرء .. إذ القلب فى الإنسان كل شىء . . ولقد قال القدامى « المرء بأصغريه قلبه ولسانه » فلو وُجد بين الناس إنسان لاقلب له .. لكان يساوى بين الأشياء . . لاشىء . . !!

داءٌ ودواءٌ

فترة من الزمان تمرّدون أن أكتب اليك .. أفتدرين لماذا !!

ليس صدوداً مني بطبيعة الحال، فأنت تعلمين أنني لا أستطيع عنك الصدود . . ولا سلواً نزل على قلبي ، لأنه من المحال أن أسلوك ، ولا فتوراً قد اعترى حبي ، لأنني مازلت أحس وَقدَه في قلبي . . لكنه المرض الذي ألمّ بي فألزمني الفراش .. !!

وأي فراش لزمت .. ؟!

إنه الجمر غُطي بشوك القتاد . . ليلي به استعار من الدهر أمده .. أما النهار فقد اكتسى بظلمة دكناء ، لم تستطع أن تذهب بها أشعة الشمس أباديد .. !!

ودعوا الطبيب ليكشف عن سر هذا البلاء ، الذي ألم بي فتشكك في أصل الداء ، وأخيراً قال إنها حمى ، وماهي بحمى..!!

ووصف الدواء ، ولكنه لم يجلب الشفاء .. !

ولو أنصف من حولي ، لدعوا حبيبي لكي يكون طبيبي .. !

لو علموا أنك أنت أصل ما كنت فيه من بحران الآلام ، وأنني مريض بك ومنك ، لما تورعوا عن أن يأتوا بك لكي ترينى ، ولشفيت على يديك وصرت حرياً بأن أقول :

مدّت الىّ يمينها فتحسست ... منى جميع مواطن الأدواء ..!
فشفيت .. ياعجباً ، أسحر لمسها ... يشفي سقام النفس دون دواء ؟؟

ولعل خاطرة من خواطر الفكر تسعى إلى ذهنك ، وكيف

أمرض بك ومنك ، ونحن لم نلتق ولم نتعارف ، ولم تبدِ إلىّ من الإساءة ما يبعث الأسى فى النفس، والأحزان فى الفؤاد . ؟!

ولكننى سأكفيك مؤونة التفكير فى هذا الأمر ، الذى ربما يستغرق منك لحظات ، أخشى أن تنهك قوى أعصابك ، فتألمى ، وأنا أخاف عليك من الألم . !!

رأيت فيما يرى النائم . . وبئس ما رأيت . . !!

رأيت أنك مزّقت رسالة من رسائلى ، ووطأتها بالقدم، ثم تعانقت وأنور، وقد جعلتما من أشلائى، التى هى تلف رسالتى موطئاً للنعال.!

وكنتما ترياني ، وليس يخاف عنكما مكانى ، فكان تحدياً، وكان عناداً ، وكانت طعنة مسمومة سُددت إلى قلبى فمزقته وأدْمته ، وأشاعت فى الجوانح الحزن ، والهم، والكمد . . !!

أنا أومن بأن الرؤى شىء من الحقيقة ، وأصدقها ما كان والشمس تشق حجاب الأفق ، ولقد أفزعنى أن أتيقظت من حلمى المزعج ، فوجدت الغزالة وقد ذرّ قرنها من بعيد . . !

وجعلت أستبعد الحلم فى مخيلتى ، فكنت كالسكير يعلم أن الخمر تفقده الرشد والصواب ، ومع ذلك فهو يجرع الكأس تلو الكأس ، وكلما أحس بذهاب اللب ، أقبل على الشراب كمن قتله فى صحراء الحياة الظمأ . . !

ولشدة تأثرى به ومنه . . اعتلت نفسى فانصرفت عن الكلام وعن مخالطة الناس ولزمت الفراش ، فقالوا إننى مريض . . !

ياقاتلتى : إن النفوس الشاعرة ترى وتلمس مايجرى بعيداً عنها فى طى الخفاء ، وأننى لأدعو الله أن يكون حلمى هذا نزوة شيطان ولا اتصال له والحقيقة فى شىء . . !!

السعادة ـ ظلال

إذا ما أظل طيف السعادة نفس أمرئ، فعنى ذلك أن سيحل به شقاء قريب ..

والناس فريقان ..

فريق يحيا لساعته، فلا يفكر فيما فات، ولا فيما هو آت .. وفريق يذكر الماضى .. وينتظر المستقبل ..!!

أما الفريق الأول، فيتعجل سعادته، غير مبال بما سوف ينزل به بعدها من شقاء مبين، من التشوق إليها، والتحسر عليها، لذلك فهو يسعى إلى الظفر بها، محملا نفسه كل صعب عسير ..

وهذا الفريق من الناس، غالباً لاعهد له ولا ميثاق، إذ كلما قضى وطره من شىء، فتش عن غيره، ليجد فيه سعادة جديدة، وأملا غير مزهود فيه ..!!

أما الفريق الثانى، الذى يذكر الماضى، وينتظر المستقبل .. فكلما وجد نفسه من السعادة قاب قوسين أو أدنى، ابتعد عنها، وأجل اقتطاف زهرتها، من يومه إلى غده، خشية أن تفلت من يده، عندما يُدركها، كما هى سنتها مع البشر، مستعذباً ارتقاب الأمل، ناشداً فى ظله أحلاماً لذيذة ..!!

لذلك تجدينى لا أسعى إليك، ولا أطلب لقاءك الذى فيه لقلبى أجمل سعادة، وأعذب هناءة .. ولا أعجل بسماع صوتك الشجى، وأنت تناغين الهوى بين يدى، وكلما هفت نفسى لشىء من هذا، طمأنتها بأن المستقبل آت قريب ..!!

جبروت الحبّ

فى كل صدر قلب .. ولكل قلب قصة ..

ومهما تعددت القلوب ، وتنوّعت أقاصيصها، فجميعها لن تخرج عن أنها مزيج من شيئين : ذكريات الماضى.. وأحلام المستقبل ..

فمن القلوب من تحب الماضى ، وتحن اليه ، لأنها ترى أن خيوط قصتها، قد نُسجت فيه، على نول الزمن السريع الدّوَران، وأن سطورها قد دُوّنت فى صحائف أيامه ، لذلك فهى لا تحفل بالمستقبل ، ولا يعنيها على أية صورة سيكون ..

وهذه القلوب .. إما أنها كانت سعيدة فى ماضيها كل السعادة، وقد نهلت من منهلها المعسول كثيراً ، حتى صارت لا تبغى المزيد .. إذ أقامت لنفسها عشاً جميلا أنيقاً ، وكتبت على بابه « الماضى الجميل » ثم أخلدت اليه .. وبين جَنباته استقرت إلى الأبد ..

وإما أن تكون قد جرعت من كؤوس العذاب ، أقساها مرارة ،فباتت تعتقد أن الزمان ، لم يعد فى جعبته من سهام الشقاء، مايستطيع أن يصوّبه إليها فيؤلمها به .. لذلك فهى لا تخشى شيئاً ولكنها لا تأمل فى المستقبل .. لأنها على ثقة من أن الأيام ، مهما جاءتها بأجمل ألوان السعادة ، فلن تستطيع إدخال البهجة عليها ،إذ تجرّعت من كؤوس الآلام المرة ماهدّم أركانها، وحطم كيانها ، وأفسد عليها الحياة ، فصارت ميتة حية ، تتقبل العيش بين ربوع الدنيا ، على أية صورة يكون !

ومن القلوب من ترى أن ليس فى ماضى حياتها شيئاً يستحق

الذكر .. فلا تذكره .. وإنما تبسم للمستقبل آملة أن يجيء ، بعالم تتذوّقه من سعادة ..

فالحب وحده ، هو الذى يجعل من الماضى ذكريات ، ويخلق فى المستقبل الأحلام .. أما حاضره فمفقود !

إذن .. فالحب وحده .. هو الذى يستطيع بجبروته أن ينفى من الحياة . . أحد عناصرها الثلاثة .. الماضى . . والحاضر . . والمستقبل .. إذ أنه يحيا دائماً فى الماضى .. أى حاضره بعد زواله .. أو فى المستقبل قبل حلوله

ولعلك ياصاحبتى لأول مرة تسمعين بقوة فى الدنيا ، أمكنها أن تعتدى على الزمن فتمحو ثلث مكوناته .. وتخلق شيئا رغم دوام وجوده ، فلا حاضر له .. ولكنك لو علمت أن الحب ، عندما يرفع بين يديه ، كأس السعادة الجميلة المسكرة، لاينظر لجمالها بعين المغتبط القرير .. وإنما بعين الخائف المذعور.. إذ يخشى أن يُدركه الغد .. وإنه لآت ولاريب ، ويكون مخبئاً له بين طياته الشر ، فيحطم كأسه ولما يرفعها إلى شفتيه

لذلك .. فهو ينصرف بخاطره عن حاضره ، وما فيه من نعيم مقيم ، مفكراً فى مستقبله ، وما يخبئه له من شقاء موهوم ..

وإذا ماجاء الغد ، وتحطمت الكأس ، وتطاير حبها الى شفتيه ، أحس حلاوتها ، وراح يجترّ الذكريات ، ناعماً فى الماضى بما أفسده عليه ، خوفه من عوادى الزمن ..

هذه .. هى حياة القلوب جميعاً ، وأقاصيصها .. أما حياة

قلبي وقصته . فقصيرة . قصيرة جداً ، لأنها بدأت منذ شهور . . وإذا استطعت أن أعتبر تلك الأشهر القلائل ، ماضياً لحياة قلب كبير كقلبي ، فستكون حياته مكونة أيضاً ، من ذكريات . . وأحلام . .

أما ذكرياته ، فآلام . .

وأما أحلامه . . فأوهام .

وما أشقى القلب الذي تضيع حياته بين هذين

نعمة الحب

.. هل آمنتِ بحبي ، ووثقتِ بقلبي ؟ .. أم أنك ما زلت مضطربة بين الشك واليقين ، شأن كل حسناء تعوّدت أن تسمع الصلوات تُتلى بين يديها ، وترى القرابين تُقدّم هبة إليها ، والدموع تراق في مواطئ قدميها ، قرابين المحبين ، ودموع المعجبين .؟

إذا كنت قد آمنت ، فما أسعدني ، وإلا فما أشقاني ، ففي إيمانك بحبي ، وثقتك بقلبي سعادة ، وفي الشك سعير سوف أكتوي بناره .

ثقي .. ثقي أنني أحبك .. نعم .. يجب أن تثقي بحبي وأن تؤمني بقلبي ، لأنني أصبحت لا أرى في دنياي غيرك ، ولا أحس إلا بوجودك أنت وحدك ، ولا أحب أن يطرق سمعي غير أنغام صوتك ، ولا يلهب الشوق قلبي إلا لرؤياك .. لذلك فأنا أتلمس إليك الأسباب ، فلم يعد بالدنيا ما يطربني إلا لقاؤك .. ولا يعذبني غير فراقك أو وجومك . لهذا يجب أن تثقي بحبي ، وأن تؤمني بقلبي .

إن قلبي ليرضى عند ما تبسمين .. يرضى عن الحياة والأحياء ويترحّم على الموتى من بني الإنسان ، لأنهم قضوا قبل أن ينعموا بنظرة لمحياك الجميل .. ويثور قلبي ويسخط .. عند ما يُظلّ وجهك الجميل الفاتن ، بعض الوجوم .. لهذا يجب أن تثقي بحبي ، وأن تؤمني بقلبي .

فأنت فتاة أحلامي ، التي بحثت عنها طوال أيام الحياة ..

وفي منتصف الطريق ، انشقت عنها السماء ، وفي ساعة رضى من الله عز وجل ، هبطتْ من سمائها عليّ ، كملاك الرحمة ، فبدد أحزاني .. ولما رأيتك طربت وتهللت سروراً وبشراً ، إذ

وجدتك ، وكنت أحلم بك من عشرات السنين ، ولطالما فتشت عنك بين حسان البشر ، حتى إذا ما عثرت على حلمى الجميل الهانى بين يديك ، كأنه منحة القدر لشاعر هائم .. أطمأن قلبى .. واستراح فؤادى من عنائه .. لهذا يجب أن تؤمنى بحبى .. وأن تثقى بقلبى ..

ثقى .. ثقى ولا تخشى شرا ، فأنا شاعر خُلق من الحب وللحب عاش ، وسيموت فى سبيله .. وقلبى يقدس الحسن ، ويرعى الجمال الإلهى ، ولا ينشد غير الروح . ولقد عانق روحك فى أعلى عليين ، وإنك لتعيشين معى ، فى كل لحظة ، وفى كل مكان ، تلهب أنفاسك فى وحدتى وجهى ، ويرنّ صوتك دائماً فى أذنى ويهمس ، حتى فى أكثر الأماكن صخباً ، ويلوح ابتسامك العذب لعينى حتى فى الظلام ..

أنت .. أنت أنيس الليل وجليس النهار ، الذى أهرب من الناس ، لكى أخلو إليه لأسعد به .. وكيف لا يكون الأمر كذلك .. وأنا أحس وجودك إلى جوارى دائماً ، وأستطيع أن ألمسك بأناملى .. ولكننى لا أفعل .. حتى لا يهرب طيفك الذى أريده بقربى ، لأستطيع أن أملأ صدرى من أنفاسه العطرة التى ليست إلا أنفاسك أنت ..

لهذا يجب أن تثقى بحبى وأن تؤمنى بقلبى ..

إن حبنا ليس وليد المصادفة ، بل هو من صنع القدر وقد شاءه الله ، لسر لا يعرفه سواه ، لهذا فهو حب خارج عن إرادتنا لأنه قديم ، كتب فى لوح القدر قبل أن نكون ، فلا تجزعى ولا تفزعى ، بل عليك أن تؤمنى بقلبى ، وأن تثقى بحبى ، لأنه حب أراده الله .. والله لا يريد بالعالمين شراً .

أى سلمى .

أليس من العجيب أن يُسأل رجل يعيش فى القرن العشرين رأيه فى المرأة، فيجيب : « إن أطهر امرأة شرّ من شيطان رجيم » ويقيم على عقيدته هذه أياماً طوالا ، محتقراً المرأة وكل ما يتعلق بها من مباهج العيش وأسباب الحياة . .؟؟

وفى يوم وليلة يُبدّل من عقيدته ، ويغير فى رأيه ، فيقول: بل هى مَلك كريم .. !!

ذلك الرجل الذى كان يعتقد بشيطانية المرأة هو أنا .. فقد كنت أومنُ بأن شياطين الشر التى اضطلعت بالإفساد بين العالمين ، إنما لكلّ شيطان امرأة يتلقى عنها رسالته ، وينطلق بما أوحت به اليه مفسداً بين البشر

لذلك كنت أحتقر النساء بكل مافيهن ، غير معترف بأن فى المرأة أيّاً كانت ، أية فضيلة إلا أنها أداة للمتعة الجنسية ، يلهو بها الرجل بعض الوقت حتى يقضى منها وطره، ثم ينصرف عنها غير حامل لها أقل أثر فى نفسه .. أما ماينسب لها من خير ورحمة . . فما كنت لأصدق منه شيئاً .

وكنت إذ ذاك أرى الحياة بلون واحد ، وبصورة واحدة لا تتغير ، فالشمس تشرق وتغرب ، والليل يسود وينجلى . ولا فرق بين الجديدين عندى ، أساد الدّجى أم جلا وانحسر .!

وما زلتُ كما بَينتُ إلى أن خرجتُ على ضوئك البهيج من سكون الوحدة وظلام الحياة .

عرفتك يا فتاتى فعرفت فيك حياة جديدة، بلون زاه، ما كنت لأراه لولا أن نظرته فى أعماق عينيك . ودخيلة نفسك ، ولست أدرى أأنت وحدك التى تستطيع أن تقلب الحياة ونظامها رأساً على عقب .. وأن تبدّل وتغير فى العقائد ـ أم ان هنالك بين بنات جنسك من هى قديرة مثلك .. !!

وقبل أن نلتقى كنت أحبك ياسلمى كمعبود جميل ، يجب أن يُحبّ ويُعبد .. وأنفر منك ظناً منى أنك كإحدى بنات جنسك شيطان مريد ..

وبالرغم مما علمتِ عنى فى إحدى رسائلى السابقة ، بأننى كنت شغوفاً بالنساء إلى حد بعيد .. إلا أننى كنت لا أريدهن فى غير مواضع الضعة والاستهتار .. حيث آخذ منهن متاعاً إلى حين .. لا ألبث أن أنكره فألفظه غير آسف عليه ، كما يلفظ البحر جثث القتلى من أبناء البشرية التعساء ! !

ولعلك لأول مرة تسمعين برجل لم يرض يوماً أن يجعل من حق امرأة أن تقاسمه اللذة كندّ أو قرين .. ذلك أننى لم ألتق بامرأة دون أن أعطيها أجر اللقاء ..

وها هو ذا الظن يحاول أن يتسرب إلى ذهنك ، أننى فى حياتى الماضية لم أتعرّف إلا على ذلك النوع من المأجورات ، لذلك فأنا لم أعرف المرأة على حقيقتها .. ولكنك لو علمت أننى التقيت بربات الخدور ، من بنات أرفع الطبقات ، وكنت أجبرهن كما أجبر أية امرأة أخرى أن تأخذ أجرها منى .. وما ذلك إلا لاعتقادى الجازم أنه ليس هنالك من امرأة ، استطاعت أن تسمو إلى الحد

الذى يمكن به أن تكون مثلى ، تأخذ منى لتعطينى ، شيئاً بشىء من نوع واحد ..

لو أنك عرفتِ ذلك .. إذن لرأيت ولمست إلى أى حدّ كانت قيمة المرأة عندى

ولكننى مذ رأيتك ، وجلست إليك ، عرفت منك أن من النساء من تستحق أن تُرفع إلى طبقة الملائكة .. لكى تقدّس وتُعبد.

ولقد رفعتِ بنى جنسك فى عينى ، عن درجة الحيوانية والألاعيب.. ولستُ أدرى أتوجد مثلك بين بنات البشر..؟؟أم أنك مَلك فى زُمرة من الشياطين ..!!

أى سلمى ..

قلوب المعجبين كثيرة من حولك ، وبين هذه القلوب وتلك الأفئدة جميعاً .. قلب واحد هو الذى يستحق أن يُلحظ ويراعى ، وأن يُقدّر حق قدره .. ذلك لأنه قلب شاعر . !!

فقلب الشاعر .. هو هيكل الخلود لمن أراد أن يخلد ، والمرآة التى عليها تنعكس صور العالمين فتجلو حقائق النفوس .. ولقد اقتحمت هذا الهيكل المهيب ، وسرت بقدم ثابتة نحو مذبحه فاعتليت أريكة العرش منه ، وصرت إلهته التى فى ظلها يتبتل ..

وانعكست صورتك فى الأعماق ، فلم تدع لصورة أخرى غيرها مجالا لكى تظهر ..

وكما أن المثال يُخلد بصخوره وأحجاره ، بعض القادة والعظماء ، كذلك الشاعر يرسم بقلمه حياة الخلود لمن يحب .

كم قصة قرأت ، وفيها نساء خالدات ، رغم أن الموت والفناء قد لاحقاهن من زمان بعيد .. واندثرت معالم ما كان لهن من جمال بهيج .. بل واندحت آثارهن من هذا الوجود ، اللهم إلا ذكر وذكرى .. ولكنهن رغم كل هذا باقيات ، ماثلات بجمالهن فى كل ذهن وفكر ..

فلم ظفرت تلك النساء بهذا الخلود المبين ..

أكن أجمل نساء عصورهن .. ؟

أكن ممتازات عن سواهن .. ؟ لذلك كتب لهن الخلود ؟

كلا .. كلا .. ولكن الحقيقة التى يجب ألا تغيب عنك ، هى

أنين صادق هوى فى قلوب الشعراء ..

فالشاعر يُخَلِّدُ ويَخْلد .. ويحن إلى ماضيه حنين المرضع لمن أرضعت ، فما الماضى إلا رضيع دمه ، من قلبه تغذّى وفى صدره نما وترعرع .. وإنه لصورة حية أمام ناظره ، حتى يغمض جفنه الموت .

أما أولئك المعجبون ، فإن ذكرياتهم تمحى بمجرد انقضاء الوقت الذى تعرض فيه الصور عليهم ، كما هو الحال فى روّاد دور الصور المتحركة ، الذين ينسون الرواية السابقة باللاحقة وهكذا ..

وقصارى القول .. عليك أن ترعى قلباً يُقدّم الخلود هبة إليك .. وأنت لا تحبين لحسنك هذا البهيج أن يفنى ويذهب ..

قديسة المحراب

« قال صاحب سلمى فى مذكراته »

قالت لى سلمى : صفْ لى حبى .! قلت : هو شقاء قلبى ..!

قالت : وما الذى يُغريك بما به تشقى .. ؟ ؟

قلت : ما أجده فيه من سعادة وهناءة ..!

قالت : أراك شغوفاً بالمتناقضات فافصح .. !

قلت : يهنأ قلبى ، لمجرّد شعوره بقربك ، ويشقى خشية أن يجىء الغد بما يحطم كأس حبك ..

قالت : وماهو الحب .. !

قلت : معنى قُدُسى يهبط على النفوس الشاعرة ، فيملأ جَنباتها بنور عجيب ساحر ، يبدد ظُلمتها شيئاً فشيئاً ، حتى إذا ما اكتمل نورها ، ارتفع بها إلى السماء ، حيث تسعد فى جنات ونعيم ..!!

قالت : فى ليونة وغَنْ : وما حياتى إذن ..؟؟

قلت : إنْ هى إلا حلم رائع ، لو طاف بخيال أية امرأة لأذهلها رواؤه ، ولتمنت لحياتها أن تكونه ..!!

قالت : وكيف ترانى .. ؟

قلت : فتاة تجمعتْ فيها عدة نساء ، وتفرّدَتْ كل واحدة منهن بخاصة ممزة ، فكانت بارزة فيها ، وداعيا من دواعى الفتنة ..

قالت : ألستَ القائل إن أطهر امرأة شرّ من شيطان رجيم؟؟

قلت : ولكننى بعد أن رأيتك ، غيرت من عقيدتى وبدّلت فى رأيى : فقلت بل هى ملك كريم .!

قالت : هل أحببتنى حقاً ؟

قلت : أما زلتِ فى حاجة إلى برهان ؟!

قالت : لقد تغنى عصفور أمامى اليوم بأننى مخدوعة فى حبى ..!

قلت : لا يوسوس بهذا إلاّ شيطان . . !!

قالت: لم أكذّب .. ولم أصدّق .. ولكننى لم أنج من الحيرة..!

قلت : وفيم الحيرة . . ؟ ؟

قالت : بين الشك والإيمان . . !

وبعد لحظة أردفَتْ : لقد كنت أظنك غير هؤلاء جميعاً . .

قلت : ومن هم . . ؟ ؟

قالت : عشاق الذين يدّعون الحب . .

قلت : وإذا بك تجدينني أشد منهم زِيفاً . . !

ولكنها لم تجب . . بل سحبت يديها من على كتفى ، وسارت نحو مقعد وارتمت عليه فى تخاذل ، وفى مرارة قالت : أيمكن أن أبصر الحقيقة !

وكانت حالها تدل على أن الريبة قد بدأت تأكل قلبها حقاً ، فلم أر أن من الصواب الجدل . فغادرت البيت دون أن أحيى..!!

ورحت أهيم على وجهى فى الطرقات ، أفكر فى أمور كثيرة ، ولكثرة الخواطر المتزاحمة المتلاحمة فى ذهنى ، لم أستطع أن آوى إلى منزلى قبل منتصف الليل ..!!

والليل .. فى سكونه ساحر ، وفى ظلامه يتفتح ذهن الشاعر الحائر ، فيرى كل مالم تره باصرتاه تحت أشعة الشمس ، وفى وضح النهار .. !

ولقد رأيت كثيراً وأنا أنظر للنجوم تلمع فى السماء ، وقرأت سطوراً كانت محجوبة عنى . . !

وجاهدت نفسى حتى دخلت حجرتى ، ودفنت وجهى فى وسادتى ، وطلبت النوم الذى جافانى وقتاً ليس بالقصير ..!!

كانت ليلة هائلة مروّعة ... فقد هبطت من الوسن ، إلى وثن من ذهب ، فى حجرتى قد نُصب، ومن حوله ألسنة اللهب ، فى رهبة تضطرب ، وأنا راكع أمامه ، يكاد وجهى أن يمس الأقدام منه ، وقد خرست شفتاى ، وانعقد لسانى ، واستطالت أحداقى ، ومن حولى زمر المشاعل تتساقط أضواؤها علىّ ، فتذهلنى عن نفسى ، حتى أننى رحت أتحسس أطرافى لأستوثق . أأنا فى يقظة ، أم فى حلم ، من هاتيك الأحلام ... فما راعنى إلا أن ألمس فى كل شىء معالم اليقظة ...

ولكن ... ماهذا الوثن الجميل الذى فى حجرتى قد نصب ...

ورحت أحدق البصر ، وأطيل النظر ، ثم أرجّع البصر كرّتين ، فاذا الوثن الجميل يتكشف شيئاً فشيئاً ، فأرى جبينه المشرق ، وشعره الفاحم الناعم ، وأنفه الفاتن ، وفمه القرمزى .. فاذا كل هذه المفاتن ، تبدو معالمها ظاهرة جلية . فأرى فيها ، معبودة الروح التى هى سلمى ..!!

ورفعت عينى إلى الفتنة الماثلة أمامى وقلت :

أنت يامن عبدتُ فيك روحا قويا ، سلبنى الإرادة على نفسى حينا من الدهر ، كانت حياتى فيه وقفاً عليك ، وملكا لك ، تشكين فى حبى بعد هذا كله !

وأفقت من غشيتى على أثر هبوب عاصفة صغيرة ، دفعت بمصراع النافذة فأحدث صوتاً ... فإذا الحجرة خالية .. وإذا بى راكع وسطها وحدى فى الظلام .

نقمة الحب

دعيني أهمس في أذنك يا حلم حديث الألم.. كالنجوى في أمسية مقمرة، لتلمي بقصة رجل شريد، فَقَدَ هناءته، وضلّ في دنياه، عن سواء السبيل.. فصار لا يَقرّ له قرار ولا يهدأ..!!

وهل يمكن أن يكون ذلك الرجل الضليل العليل، غير مضناك، وهل كان مضناك سواي.. أنا الذي جعل مني هواك رجلا غير الذي كنته بالأمس..!!

فلقد كان الرجل الذي كنته بالأمس، سعيداً كل السعادة، دائم البشر والاستبشار، يهش لكل من يلقاه حتى وإن كان خصما أو غريماً.. لأنه لا يعرف غير السرور الذي ينبع من أعماقه، ويتفجر بين جوانحه، لذلك فهو لا يُقر العبوس..

ذلك هو الرجل الذي كنته بالأمس، أما الرجل الذي صرته اليوم، فانه على النقيض من نفسه، إذ تبدّلتْ طبيعته، وتغير اعتقاده، وانقلب من ربيع ضاحك، إلى خريف عابس مكفهر، دائم التقطيب، لا يمكن أن يراود الابتسام شفتيه، إلا إذا وقعت عيناه على وجه مَلَكه الذي أحبه كل الحب.. وهام به، وشقي في سبيله، ذلك الوجه الذي لا يبسم الرجل الذي صرته اليوم، إلا بين نضرته وإشراقته.. هو وجهك أنت!!

ولقد كان الرجل الذي كنته بالأمس، طلق اللسان، يقظ الجنان، يتحدث في كل شيء مسهباً في إفاضة... ويجادل كل إنسان لا يشرد ذهنه، ولا يشذّ عن الطريق خلال الحديث، وحتى يصل لما أهدف إليه من إقناع أو إشباع... أما الرجل الذي صرتُه

اليوم .. فما أحبّ إليه من الصمت ... وما أصعب عليه من الكلام ، إذ أخلد إلى السكينة ، يبدو ساهما دائماً ، مفكراً ، وفى نظراته الحزينة أسى . . وإذا ما انتزع أحد من شفتيه الكلمات .. فبصعوبة ، وإذا تكلم ، فقد يستعصى عليه مواصلة الحديث ، دون أن يركب الشطط ، أو يغيب عنه القصد الذى تكلم من أجله ، ويضلّ عن الغاية التى يسعى إليها ، وكثيراً ما يصمت عن حديث مبتور ، دون أن يصل إلى نتيجة يرضاها هو ، أو يقرّها المستمع .. ثم يدرك بإحساسه أنه أخطأ ، فيحاول العودة إلى حديثه الذى بتره ، ولكن هيهات هيهات .. إذ تصبح العودة فى حيز الاستحالة .

ولقد كان الرجل الذى كنته بالأمس ، يرى الدنيا واسعة ، والآمال متعاقبة ، تعاقب الليالى والأيام ، لم يعرف الخوف من الغد إلى قلبه سبيلا . . أما الرجل الذى صرته اليوم ، فليست دنياه غير حلقة ضيقة ، لايستطيع التنفس فى هوائها العكر . . وجوهاً الكدر ، إلاّ تحت ظلال أهدابك ، ومن أين لى بتلك الظلال ، التى هى واحتى فى صحراء الحياة .. وأنت بعيدة عنى ، نافرة منى .. لاتعرفين أين أنا منك ، ولا أعرف أين أنت ، ولا أرى غير طيف يروح ويجئ أمام عينى ، ويهمس بكلمات لا تسمع إلاّ من أذنىّ ، ولا يمكننى عليها الجواب .

ولقد كان الرجل الذى كنته بالأمس ، صديقاً لكل من يرجو صداقته ، سميرا لكل من يجالسه . . أما الرجل الذى صرته اليوم ، فقد كفر بالصداقة ولاذ بالوحدة . يتحدث إلى طيف لا يُرى ، ووهم لا يُلمس .. كأنه مجنون .. وما هو بمجنون .

تلك هى حالى التى أورثنيها حبك وهجرك .. وإنها لنقمة كبرى جرّها علىّ غرامك .

الشاطئ المجهول

ألا رفقاً بى أيها الأسى الظلوم الغشوم ، فقد سالت الأحزان من عينىّ دماً قانياً ، بعد إذ جفت من مآقيها الدموع . . !!

وأنت أيتها الأيام الغادرة الماكرة ، لِمَ أغتلت حبى وما رحمت قلبى ، عندما طوّحت به فى مهاوى الشقاء ، كما يفعل الإعصار بهشيم يذروه هباء .

وأنتَ أيها القلب المسكين .. هل يحلو لك العيش فى واد ادلهم ظلامه ، وفنت أحلامه ، وتكاثفت آلامه ؟ !

لقد نزح زروق الأحلام إلى شاطئ بعيد مجهول ، عندما فاجأته عاصفة عاتية ، فدفعته دفعاً ، ولما أضع قدمى به بعد ، فتوارى كل شعاع للهناء المرتقب . . !

ألا فانسر ياقلب عن واد احتجب ضياؤه ، وغامت سماؤه ، وتلاشى منه كل شعاع من نور الأمل . . !

هيا أيها القلب الحزين الطعين . . !!

هيا .. هيا .. فقد ألمح ركباً يسير فى ذلك الدرب البعيد ، هيا ولنسر مع من ساروا ، علنا نبلغ أرضاً ليس فيها ، مايشقى النفس أو يحزن الفؤاد ، ولم يعرف آلها الغدر والخداع بعد . . !

هيا أيها القلب تهيأ للرحيل . . فقد دالت دولة الأحلام من قديم ، وتولى ذلك العهد الموشىّ بالنعيم ، تاركاً أشباح الشقاء الكدراء ، ترقص فى نفوس الأشقياء . .

أيها القلب الذليل .. لم لا ترضى الرحيل . . ؟ !

لذة العيش بأن نحيا سُكارى ، فى هناء مثل أحلام العذارى ،

فلم يا قلبي تعشقت التفاني ،في هوى من تولت عنك وقد اكتست زهواً وكبرا ، لالشيء .. إلا لأنها استوثقت من أنك قد وقعت في شباك هواها ، في ظلال البسمات ، والعيون الساحرات . . !!

رحمة الله عليك أيها القلب الحطيم ..!

إذ رضيت العيش في وادي الهموم .. !

رهن حب كسراب خادع بين الصحاري ..!

وحبيب خائن ليس يباري ..!

في اختلاق العلل التي تقتل الأمل ..!!

أيها القلب الذليل .. !

لم لا ترضى الرحيل . ؟؟ .. !!

هموم القافلة

يحدو الحادى فيهون على القافلة الطريق ، بما فيه من مفاوز وعرة ودروب مقفرة ..؟!

وتلك قافلة الأيام، تمضى بنا خبباً فى صحراء الحياة ، فلا بد لنا من نشيد نردده ونحن نجتاز الدرب الطويل ، كلما طاف بالنفس خاطر أو ألمت بها وحدة قاسية .

ثورة النيل

في فجر الثورة .. وفي يوم ٣٠/ ٩ / ١٩٥٢ زار الرئيس اللواء محمد نجيب « سنجها » بلدة الشاعر ، بدعوة من « الصاغ احمد لطفى حسن السيد واكد » فحيا الشاعر ، الرئيس بهذه القصيدة ..

تساءَل النيلُ لما ضلّ سادتُه
وبايعوا البغى .. أين المنقذ البطلُ ؟
ويا بَنىّ .. لماذا طال صمتكمو
على البغاة ..!! ألم يغضب بكم رجلُ ؟
أرى الفساد على شطىّ منتشراً
والحق بينكمو ، ضاقت به السبلُ
لهوتمو بنقاش ، أو مهاترة
وقد يطول بكم ، فى التافه ، الجدَلُ
لقد سئمتُ .. فهل من بينكم رجل
يقاتل الظلم ؟ إن الظلمَ يشتعلُ
ويُطلق الحق حراً من معاقله
وليس يُرهبه ما سوف يُحتملُ

* * *

فصاح فيه «نجيب» بين صُحبته
أيا أبى النيل .. إنى ذلك الرجلُ

وهبّ للفور يسعى بين أنشدة
ترعاه مخلصة ، يحيا به الأمـــل
يحطم الظلم ، فى أصنـــام مَفْسدَة
وَقودُها الزّور، والبهتان، والدّجلُ

* * *

رَجَتْك مصر .. فأنتَ اليوم واحدها
إذ أنت منقذها من طُغمة رحلوا
وبارك النيـــل من أبنائه بطـلا
قد ثار للحق ، لم يَجْنح به وَجَلُ
فاسلم لمصر ، وللوادى بأجمعـــه
فلن تقـوم به فى ظلـــكم علـلُ

نعمة الحرمان

أقام الشاعر حيناً بالجزيرة العربية ، وكان يقرأ بين الحين والحين « بجريدة البلاد السعودية » التي تصدر في « مكة المكرمة » شعراً رسينا لشاعر مبتئس ، فيه شكوى وفيه بكاء ، مذيلا بكلمة محروم .

وتساءل صاحب الديوان عن « الشاعر محروم » فاذا هو « صاحب السمو الملكي الأمير الشاعر عبد الله الفيصل » وزير ثلاث وزارات في المملكة السعودية ، ونائب نائب الملك في الحجاز .. فكتب اليه :

أيهـــا المحروم والدهر له ... كبساط الريح في عرض الفضاء

كابن داود وفي عِـــزّته ... لك أن تمضي به أنّى تشاء

إن أردتَ النجم من عليائه ... جاءك النجمُ ، وفي غير عناء

أو طلبت البـدر في مشرقه ... لتمنت أن توافيك ذُكاء

غنت الدنيا على قيثارهـا ... بين ناديك أفانين الغنـاء

مثـل هارون ومن غنّيتـه ... من جوار ، وعبيد ، وإماء

مالذي يشقيك ياصاح وما ... هذه الشكوى ، وما معنى البكاء

ولك الأيام تجثـــو ذِلة ... تتمنى أن ترى منك الرضاء

***

أنا إنْ أشك .. فقلبي داؤه ... أعجز الطب ، وأعـيى الحكماء

غالت الأيام آمالي ، ولم ... يبق لي في هذه الدنيا عزاء

مالذي يأمل مثلي أن يرى ... وله الأيام تعلو في العـداء

وعليّ الدهـر يُذكي حربه ... في جنون ، وتجنّ ، وافتراء

لا تُطل شكواك ياصاح ولا تذكر الحرمان الاّ بالثناء
إنما الحرمان شعمى لاترى فضلها ، غير لفيف الشعراء
لذة الحـــرمان في شقوته فيها نلمس مامعنى الهناء
والتمنّي روضة فينـــانة تُسعد الصبّ وتُهنى الأشقياء
والرجاء العذب .. ما أجمله هو للشاعر روح وغذاء
والهوى المعصوم من غيّ الهوى بهجة الدنيا وخمر الأتقياء

صائد المجد

تحية الشاعر للمغفور له دولة اسماعيل صدقى باشا عند
زيارته لمزرعة البساتين ببرج العرب فى ٣٠ـ٥ـ١٩٤٦
وكان رئيساً لمجلس الوزراء الذى يفاوض « مستر بيفن »
وكانت البشائر تدل على النجاح . .

يا صائد المجد ، هل للمجـــد أشْـراكُ
تصيده ؟؟ أم لصيد المجـد أسرارُ !
ما السر فى نَيلك المجد الذى اندفعت
لصيده أمم ، صِيد وأحبارُ ؟
فـــلم يوفّق له من بينهم أحد
إلاّكَ أنتَ . . فإن الناس أقدارُ
ألبس قوسك كالأقواس . . عُدّته
بعض السهام ، وشُدّت فيه أوتارُ ؟
أم انّ أسهمه ، من معدن مَرِن
كالماء مصطفق حينا ، وهدّارُ ؟

***

قدّرْتُ فيك خلاص القطر من زمن
فقد عهدتك صرحاً ليس ينهـــارُ
فن حصـــافة رأى فى الأمور ، إلى
عـزم هو السيف ، يمضى وهو بتّارُ
يقضى سريعاً بلا خوف . . فلا عجب
فأنت سبع الشرَى ، والسبع مغوارُ

ياسيد الغاب ، كان الغاب مضطرباً
لما قدمتَ تآخى القط والفارُ
ولم يعد بيننا من خائف وجِل
إلاّ الحقود الذى فى قلبه نارُ

* * *

سعت اليك الأمانى وهى باسمة
كأنها الغيدُ تسعى ، وهى أبكارُ
لمن تُحبّ ، فما أبهى تخيّرها
تخيرتْ بطلا يزهو به الغارُ
وهذه البيدُ كم ردّت بشوكتها
جحافل الغزو ردّاً كله عارُ
لكنها عندما شرّفتَ ساحتها
غطت قساوتَها الشنعاءَ أزهارُ
وأصبحت روضة غنّاء مزهرة
كأنما ريّها تُزجيه أنهارُ

الشاردة

سيدة كريمة نزلت بها النوائب تترى ، فذهلت عن نفسها بعض الوقت .. فقال فيها الشاعر :

أين منكِ العقل يا ذات النهى . . ؟؟
لِمَ ولىّ عنك . . ؟؟ أين ارتحلا ؟؟
نبئيني . . ما الذى أوْدَى به . . ؟
لِمَ قضّلت عليه الخبَلا . . ؟ ؟
أصروفُ الدهر ؟؟ أم أحداثُه ؟
زلزَلتْ منه الرّواسى فجلا . . ؟
أم تُرى أنتِ التى نُؤتِ به ؟
فى زمان لم يَعُد مُحتمَلا ؟
حينما أصبحتِ فى دنيا خَلتْ . .
من ذوى كانوا عظاماً فُضَلا ؟
وبنات كُنّ كالزهر إذا
لُحنَ للبدر توارَى خجلا . . !
أتُرى ضقتِ بما يذكره
من بلايا أوْرَثتك العللا ؟
فطرحتِ العقلَ جَنْباً لتَرَىْ
أيصير العيش أبهى حُللا ؟
لو تَنَحّى عنه وَعْى كامل
يذكر الماضى . . ويَنعى الأملا ؟؟

تكريم

صديق ساهمت المحامد فى تكوينه ، أختير ليشغل منصباً كبيراً أقصاه عن مجتمع الشاعر، واستأثر به ، وفى حفل وداعه وتكريمه قال الشاعر :

تشعّب الفكرُ إذ أمسكتُ بالقلمِ
وحرتُ بين سرور النفس والألمِ
وجاذَبتْ مهجتى الأضدادُ ، فاضطربت
فهل يكون لهذا .. أو لذا . . كلمى
قد أثلج الصدرَ ، أنْ تحظى بمكرمة
من السماء ، فترقى عالىَ القمم
وآلمَ النفسَ أنْ تنأى بما جُبلتْ
عليه نفسك من حلم ومن كرَم
وكنتَ فينا هُدى . . كالنور يتبعه
من فارق الرّشدَ ، فى محلولك الظلمِ

* * *

الناس لونان ، فى الدنيا بأجمعها
وما خلا عنهما ظلّ من العـــدم
لون له الفضل ، نبراس يعيش به
حياته فى الورَى من أقدس النّعَم
فتُطرب النفس بالذكرى ، وإن بعثتْ
بجانب الذّكر . . ألواناً من الندَمِ

على عهود خلت .. ما كان أجملها . .
لعلها ذكريات من سنا حُلُمِ

* * *

لون له الفضل نبراس يعيش به
كأنه فى الصحارى صَيبُ الدّيم
يجود بالفضل ، لا سعياً لمحمَدَة
وإنما فضله ، من آصل الشّيَمِ
وآخر دَأبه ألا يُفاد به
حياته فى الدّنا شرّ من النقم
وصاحب الفضل يحيا فى محامده
كما يعيش المنى فى نفس مبتسِم
يحيا وغايته ، فى غير ما جَدَل
أن ينقذ الناس من همّ ومن سقم

* * *

أخىّ .. إن مجال الشعر متسع
وليس يقوى على تياره قلمى
لكى يغوص وراء الدّرّ ينظمه
قلادة لمديح السيد الفَهِمِ
فلن يَفيك قصيد صاغه قلم
ما تستحق من الإكبار فى الذّمم
فقد ملكتَ من الأخلاق ناصية
تميزتْ ، بسموّ النفس والحكمَ

وقلبك الفـــذّ لم يُخلق لناحية
إلا لتنبع فيـــه أكبر الهمم

* * *

وهـذه نُخبة من خير ما بعثت
بيوت مصر من الأقـدار والقِـيَم
سعت إليك لكى تقضى بواجبها
وهل يُكرّمُ غـــير المفرد العَلم
أتوا إليك فلا زلتَ تقودهمو
وإنمـــا لهوى فى النفس مضطرم
والحب أقدسه ، ما كان محتدماً
لغير قصد ، فهـــذا غير مُنهدم
أرغمتنا بخلال أنت مُبدعها
على التجِلّة والإكبار والعظَم
لشخصك الفـذّ فاقبل خير تهنئة
يسوقها قلمى ، فى باقة الكلم

عروس

ابنة أخت الشاعر ، وكريمة ابن عمه على السيد واكد ،
كان زفافها فى يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٤٧ فى حفل أنيق ،
وقد هنأها الشاعر بهذه الأبيات :

درّة الجيل ، فى جبين الزمانِ ... وحياة النفوس فى كل آنِ
أنت لحن من السما عبقرىّ ... هبط الأرض فى حجا إنسانِ
يا ابنتى . . ياحياة نفسى وقلبى ... أنت منى كشاعر . . وجدانى
أنتِ فى عالمى الضياء تهادَى ... فمحا ظُلمتى التى تغشانى . . !!

* * *

ما الربيع الجميل فى الروض إلاّ ... بسمة منك يا ربيع الجنانِ
إن يوماً خطرتِ فيه عروساً ... كان للنفس حلمها والأمانى
وسيبقى مُجدّد الذكرى حياً ... وغناء لمنشدى الرّكبان

* * *

لك قدْر بكل نفس عظيم ... لم تنله من العذارى اثنتان
فلقد كنت طفلة ذات شان ... وفتاة لهـا كبير الشان
وأتى الوالدَ العزيز « عَلىّ » ... فتسامَى على ابنة النعمان
بمنى عينه ، وحبّة قلبى ... فتقبّلْ أيا « على » شكرانى
حيث أعليت شان فردوس حتى ... طأطأت هامها لها الهرَمان
واقبلى يا ابنتى تهانىء قلبى ... ولنفسى أزُفّ كلّ التهانى
عشت بازهرتى ، وبورك فيك ... حرستك ملائك الرحمن
وحباك الإله عمراً طويلا ... لتكونى لنا كنوح الزّمان . !

حَربُ الزمان

نزلت بالشاعر بعض المحن ، فبعث اليه أحدهم رسالة فيها لون من ألوان التشفى ، فعاجله الشاعر بهذه القصيدة :

حَدَثٌ من الأحداث دون جدال ... إذ تجرؤنّ على أبى الأشبال
والأمس كنت مع الأرانب والقطا ... تجرى لجبنك ، إن رأيت خيالى
وتفرّ كالرّعبوب (١) طورد فى الفلا ... من ضَيْغَم يسعى لصيد غزال . (٢)
واليوم تجرؤ إذ تقول بأننى ... هَدَف لكيد زمانىَ المتوالى
فصغار شانى فى الحياة كما ترى ... وتصرّفى النانى ، وقلة مالى
أغرى الزمان بأن يكون مغالياً ... فيما يُعدّ من الرّدى لنزالى
لكأنما نصّبتَ نفسك ناقداً ... للناس ، شأن العاقل المفضال
والفضل يبرأ منك ، حتى والحجا ... يامن لخزْىِ الدهر خير مثال
فوجود مثلك فى الحياة مَعرّة ... يا سُبّة تبقى على الأجيال
ياميّت الأحياء يا نُكر الورى ... يامن تعيش بفرْيَة وضلال
سيقال إذ تقضى بوكرك تافها ... سيقال قد نفق الكثير المال (٣)
فلأنت فى هذى الحياة كميّت ... حتى وإن عمّرتَ كالأفيال
ولسوف أحيا كالزمان ، مُجدّد ... ذكرى ، يعدّدُ ذاكرى أفضالى
فالمرء لا يحيا بكثرة ماله ... لكن بذكر طيب .. وخصال
أرأيت مَن منّا الذى لا يستحى ؟ ... فلتسمعنّ إذنْ ذُيول مقالى
الدهر حاربنى ، لأنىَ مثله ... عات .. أقابل حربه بنضال

---

(١) الرعبوب : الغزال الصغير (٢) الضيغم : الأسد
(٣) يقال الوكر لبيت الأفعى .. ونفق للحيوان

والدهر لا يلقاه فى جبروته ... إلا المقدّرُ نفسه المتعالى
عما يجىء به الزمان من الضنى ... شأن المحب مع الحبيب القالى
يلقى مساوئه بثغر باسم ... فمصائب الأيام خير مقال
يُبْلَى ليعرف فيه كلّ نفسه ... فالدهر أستاذ كبير .. عال ..
كم علّم الإنسان من صدماته ... عِبراً تساق بمضرب الأمثال
فاسمع لخدين الجهل بعض نصائحى ... حتى تُطلق عيشة الجهّال
إن جاءك الدهر العنيد بمحنة ... لا تجزعنّ لها بأية حال
واعلم بأن الدهر لا يُلقى بما ... يُلقى به إلا على الأقيال
إذ أنه يدرى بأنهمو لما ... يرمى به كفء كشمّ جبال
قدلا تزحزحها العواصف شعرة ... حتى ولا تهتز من زلزال
أما الذين حياهمو ببشاشة ... وتلطف ، وبعيشة كخيال
أبهى من الروض الجميل تبسما ... فى ظلّ جاه ، أو بكثرة مال
فأولاء أطفال الحياة يراهمو ... دهرى كمثل بقية الأطفال
يعطيهمو الحلوى، لكى يرضوا بها ... أما مصائبه ، فللأبطال
أرأيت، من منا، الذى لا يستحى ... فلتنظرنّ لحالكم ولحالى

المبضع الميمون

فى عام ١٩٤١ مرض الشاعر مرضاً مضنياً ، وظل تحت اشراف الدكتور ابراهيم فرغلى مدة خمسة أشهر ، خرج بعدها الى الحيـــاة سالما صحيحا معافى ، فأرسل الى النطاسى البارع بهذه الأبيات :

بدّدتَ آلامى ، وصنتَ حياتى ... بالمبضع الميمون ذى النفحات
ورعيتنى من غَوْلِ موت داهم ... رُسِمَت دلائله على قسماتى
لما جرى بالسحر مبضعك الذى ... يُشفى من الأسقام والعاهات
إن مسّ ذا سقم فمعنى لمسه ... جسد السقيم وصاحب الأنّات
أن الشفاء غـــدا له بكماله ... فليأمَن الآلام والآهاتِ

* * *

يا مبضعاً يجرى ، وفى آثاره ... ريح الحياة ، تهبّ فى نسمات
تسرى محمـــلة بنفح عاطر ... ليست بواعثه من الزهرات
لكنه من نفس حاملك الذى ... يحـــكى الملاك برحمة وأناةِ
لولا بشاشته وواســـع علمه ... وكريم أخلاق له وسمـــاتِ
ماكان شأنك فى الحياة كما أرى ... إلا وحقك أنت كالمبراة . . ! !

* * *

ف : فى النفس آيات لحمـــدك جمّة
لا تستطيع وفاءهـــا كلماتى
ر : وانت على نفسى ففاض قليلها
فنظمتـــه فى هـــذه الأبيات

غ : غنىّ الفؤاد لما حباك به العلا
من حكمة ، وبلاغة ، وصفات

ل : لم يحبُ غيرك ـ فى اعتقادىَ ـ مثلها
فانعم بها يا صـــاحب الحسنات

ى : يرعاك ربى من حســـود حاقد
والمبضـــع الميمون ذا النفحات

مَشيبى

مرحباً ..مرحباً بعهد المشيب — حيث وافى متمما للخطوب
شاب شعرى ولم يذق بعدُ قلبي — من هناء الحياة مثل القلوب
بل غذاه الزمان بالبؤس حتى — صار لايستسيغ غير الكروب
حطمته الخطوب وهو رضيع — وسقته مرارة التعذيب
ورماه الزمان وهو فتىّ — بسهام الردَى فصار نصيبي
من وجود أتيته رغم أنفى — زفرات الأسى وطول النحيب
لكأنىّ خُلقتُ للدهر خصما — فتولت صروفه تأديبي

ميكروب الكوليرا

روع الناس فى مصر من أقصاها إلى أقصاها ، بظهور وباء الكوليرا فى ٢٢ سبتمبر ١٩٤٧ ، وقد دمر بيوتا وأورث الكثيرين اليتم والثكل والترمل ..!!

يارسولَ الموت ياظلَّ الخطرْ ... يامُبيدَ القوم فى لمح البصرْ
أحريقٌ أنتَ فى الكون استعرْ ... يأكل اليابس والغضَّ النضرْ
لك كالريح طَوافٌ مُستمرْ ... دون أنْ تهدأ يوماً أو تقرْ
ما الذى تجنيه ياألعن شرْ ... عرف الناسُ، وفى الدنيا ظهرْ
لاتراك العين ، لكن الأثرْ ... الذى تتركه لا يُغتفرْ
فلكم غيَّبتَ فى جوف الحُفرْ ... من شباب كان فى فجر العمُرْ
وصبايا كنَّ فى حسن الزَّهرْ ... تحصد الغضَّ ، وحتى من كبرْ
همة قعساء قد لا تُلتظرْ ... من كبير الحجم، لا من صَغرْ

***

كل شىء فيه نفع وضررْ ... إنما أنت فماذا تدَّخرْ
لبنى الدنيا سوى لحد حُفرْ ... لتردَّى فيه منهم من تَزُرْ
أىَّ نفع فيك يُرجى للبشرْ ... فى اسمك الرَّعراع إذا الاسمُ ذُكرْ
إنْ تزر جيشاً تر الجيش اندثرْ ... أو تزر بيتاً ففيه لن تذَرْ
أحداً إلا ويغدو فى خبرْ ... كان..أو كانت.. فما منك مفرْ

***

لا تقى منك قلاع أو حُجَرْ ... قد جعلت الكون جزءاً من سقرْ
فى قيام ، أو قعود ، أو سفرْ ... فى شعاع الشمس، فى ظل الشجرْ

في ظلام الليل ، في ضوء القمرْ ... في طباق الجو ، أو في المنحدرْ
أنت في كل مكان منتشرْ ... ترقبُ الناس بمنظار القدرْ
فمن المأمن قد تأتي الحذرْ ... لترى الناس ميامين العبرْ

* * *

ما الذي يُجدي إذا الموت حضرْ ... وانتهى العمر، فهل يُنجي الحذرْ؟
لا تراعوا إنما الموت قدرْ ... وانتهاء العمر شيء منتظرْ
أرأيتم من له الخُلد قُدرْ ... لتخافوا الموت..؟ ما هذا الهذرْ
فاتقوا الله وخلوا من كفرْ ... بقضاء الله في دنيا الكدرْ

تحت الطبع للمؤلف

مغامرة في الظلام

مجموعة من القصص المصري الحديث

قريتي

حل وباء الكوليرا ضيفا ثقيلا على « سنجها » بلدة الشاعر ، فى أوائل أكتوبر سنة ١٩٤٧ وثارت فى نفس الشاعر عوامل الحنين اليها فى محنتها فكتب هذه القصيدة :

قريتى .. جنتى .. فداؤك نفسى ... من وباء يحلّ فيك ونحس..!
أنت ويا سنجها العزيزة عندى ... شقّ روحى ففيك مسقط رأسى
فيك آلى .. وصحبتى .. ورفاقى ... فيك ذكرى الصبا وأحلام أمسى
عندما كنتُ ، والطفولة روض ... زاهر ، قد وهبته كلّ حسى
فالرمال التى تغطيك دُرّ ... وظلال النخيل كالفردوس
ورفاق الصبا كولدان عدن ... لم يدنسهمو الزمان برجْس
كل ما فيكِ كان يبدو جميلا ... كلما زار خاطرى روض أنسى
كيف حال الرّفاق لمّا تبدّى ... لهمو الموت فاغراً فاه رمْسِ
بالغ الضيق ، سوف لا يتّقيه ... مَن له همّة تفوق ابن عَبْس
فلو انّ المنون جاء بجيش ... لتلقوه باشتداد وبأس
ولردوا الخميس منه فلولا ... تتساقى الرّدى بأقذع كأس
فهمو للصعاب خير رجال ... يتلقون مرّها فى تأسّ
فتهون النفوس يوم المنايا ... يوم تعطى النفوس نفساً بنفس
إنما الموت جاءهم بلباس ... لا يُرى ظله ، فياويح نفسى
فى هواء مسمم ، فى شراب ... وطعام ، وفى انتقال ، ولمس !
ما لهذى الحياة صارت جحيما .. ... أتُرى الكون قد أصيب بمسّ

فانبرى للأولىَ يقيمون فيه ... يترع الكأس من شقاء وبؤس
ويساقيهمو جموعاً .. جموعاً .. ... ليس يدرون منهمو من سيمسى
ليوارى رفيقـــه فى تراب ... سوف يثوى بجوفه كل إنسى
يارفاقى . . وياصحـــابى وآلى ... لا أرى محنة تحل فتنسى
رحمة الله بالعبـــاد فربّ الـ ... ـكون أحنا عليكمو دون حدّس
فاضرعوا للرحيم رب البرايا ... فهو خير الملاذ فى يوم نحس

تحت الطبع للمؤلف

أُلُوهَةُ المفقُود

مجمـــوعة من القصص المصرى الحديث

رياض

« هو رياض سالم مغنم ابن عمة الشاعر ، وصديقه ولد فى سنجها عام ١٩٠٦ ، بعد موت أبيه بستة أشهر ، ومات فى وباء السكوليرا فى شهر أكتوبر سنة ١٩٤٧ ، وكان رجلا هماماً شجاعاً ، يعد بطلا من أبطال الريف » وقد بكاه الشاعر بهذه القصيدة :

رفيقَ الصبا . . هل جفّ قبرك أم بكى
عليه غمام الفجر حرّ المدامع ؟
وهل ناح من هوْل المصيبة نائح
على رجل وَلىّ وليس براجع ؟
وهل صرتَ من أهل القبور ، ولم يعد
لصوتك رَجْع ملء كل المسامع ؟
وهل أمِنَ الأنذال سطوتك التى
لخشيتها عاشوا وراء البراقع ؟
وهل صار رَبْعُ الريف بعدك خالياً
ليرتع فى أرجائه كلّ راتع
وهل صار للباغين شان وصولة
وما لهمو عن غيهم أىّ رادِع ؟
وهل صرتَ مأسوراً بداجى حَفيرة
وكنتَ على الدنيا كبير المطامع ؟

تُرى . . كيف نام الليث فى جوف قبره
وكان لدنيا الناس أكبر ذراع ؟
مَهيبا إذا وَلىّ ، مُهـــابا إذ دنا
له قَدْره ، فى قلب شيخ ، ويافع
له الهمّة القعساء دون تكلف
هو الغَوْثُ للمفجوع عند الفجائع
فما كان فى الهيجاء إلا مُقدّماً
وما كان يوماً من هواة التراجع
فكان هو الغلاّب فى كل حَوْمة
ولم يُر مغلوباً بأقوى المعامـــع
وكان له اسم فى الملة ذكرُه
لكل هضيم الحق أكبر شافـــع

* * *

أخى . . قاتل الله المنية إذ قضتْ
عليك وحيداً فى قفار البلاقـــع
تنام خنوعاً للمشيئة والقضا
ولم تك فى دنياك يوماً بخانـــع
تنادَى . . فلا صوتاً تلبى ولا ندى
ويرجوك للغوث المروعُ فلا تعى
وقد كنت غوّاثاً ، وكنت مكافحاً
لنصرة مغلوب ، وتقويم طامـــع
تخاصم من يعدو لغير خصومة
سوى دفع عُدوان ، نبيل الدّوافع

وكنت شجاعاً لا تخاف من الرّدى
ولا تتقى شراً وخيم التوابـــع
فما عرَفتْ أخلاقُك الجبنَ ساعة
ولو كان فى الإقدام كبرى الفواجع

* * *

أخى .. قد جفَتْ عينى الدموع فلم أجد
دواء لحزن شَبّ بين الأضالـع
سوى أننى أبكى كما يبكى طائر
أصيب بسهم فى السّويْداء قاطع
فهَدّ قواه ، واستبـــدّ بقلبه
وغشّاه بالظلمـــاء بين السواطع
فليس ضحاه غير أطباق ظلمة
وما دمعه إلا تباريح جازع
يترجمهـــا فى كل آن ولحظة
لأنات محزون بألحان ساجـــع

* * *

أخى .. هل تُرى الماضى يعود؟ وهل أرى
« رياضا » إذا الدّاعى دعى فى الطلائع ؟
أم انك لن تسعى لغوْث ونصرة
إذا ما دعى الداعى ، ولستَ بسامع ؟
أخى . . كيف كان الموت ؟ كيف لقيته
وكيف شربتَ الكاس من يدّ جائع ؟

فمـــا الموت إلاّ جائع طول دهره
ولا يرتضى غير النجوم اللوامع
أكنتَ جَزُوعاً عندما مدّ كأسه
وهل قام بينكما نضال المدافـــع ؟
أم انك قد أسلمتَ روحك خاشعاً
لسلطان مَن لم يلقه غيرُ خاشع ؟

* * *

قضيتَ وحيداً فى غمـــار مصيبة
أَقضّت عَلى الأخْـدان حُلو المضاجع
وصيرت الأحيـاء فى شبه مَحشر
فليس أبى هـــذا ، ولا ذاك تابعى
فلم يبك حيّ ميّتا عنـــد موته
وليس لأن الدمـع غير مطاوع
ولـكن لأن الموت أضحى بجيشه
لكل بنى الدنيا كظل مُتابع .. !!
يطارد أبناء الحيـــاة بقسوة
ولـكن بأسلوب اللئيم المخـــادع
ويَنْقضّ كالصديان يروى ظماءه
بَدمّ تعيس الحظ ، دون منـازع
فهـــذا يُرى صبحاً يشيع ميّتا
وعند الضحى للقبر أول نازع
وذاك على الدنيا ، وبعـــد هُنيهة
يكون لباب القـــبر أول قارع

كأن بنى الدنيا يخافون غدرها
فولوّا إلى الأخرى كطير نوازع
تهيب بهـــا الأشواق فى وَكناتها
فتنزح فى سود الليـالى الأسافع
إلى حيث لا تلقىَ اشتياقا ولوعة
تورّق أجفان العيون الهواجع ..!!

الراحل المجد

رأى الشاعر فى حلمه جنازة أمه ، وهو يعدو ليلحق بموكبها، وينوح مرددا هذين البيتين، وتيقظ وهو ينوح بهما

أيها الراحل المجدّ تريّثْ بين جنبىّ شكوة وبكاء
هكذا..هكذا..مضيتَ سريعاً لستُ أدرى متى يكون اللقاء

موت زهرة

شقيقة الشاعر ماتت فى ربيعها التاسع عشر ، وكانت
وفاتها فى يوم شم النسيم ١٠ ابريل سنة ١٩٤٢

فى الربيع الغضّ ، فى عمر الزهورِ ... سرتِ يا أختاه عن دنيا الغرورِ
كفراش حطّ فى الروض النضيرِ ... بعض يوم ، كان فيه مثل نورِ
فهدى كل بصير وضريرِ ... ثم ولّى ، فكسا الدنيا الظلامْ

* * *

إن يوما فيه أزهت الرحيلْ ... كان فى الأفلاك والأرض جليلْ
كان للطير وللزهر الجميلْ ... كان عيدا .. أى وربى والقليلْ
من بنى الدنيا الذى يرضى القفولْ ... عن رياض الحسن فى عيد الربيعْ

* * *

أترى خُيرتِ .. فاخترت الجنانا ... حيث فى الخلد رياض لا تدانى
قد تفوق السحر صُنعاً وافتنانا ... أم هو الموت الذى أنّى أتانا
سلب الروح وأصبحنا كيانا ... ليس فيه أى نفع للوجودْ ..!!

* * *

عندما يصعد سرّ الله منّا ... تُظلم الدنيا ويروى الناس عنا
كان أو كانت .. فلم نُصبح كنا ... لم جئناها ، ولِمْ عنها رحلنا
يهرم الإنسان فى الدنيا ويفنىَ ... دون أن يعلم ما سر الحياة

* * *

رحمة الله عليك حيث نمتِ ... عشت فى الدنيا ملاكا ثم متِّ
غير فرض الله شيئاً ما فعلتِ ... ومن الآثام فى الدنيا اعتصمتِ
يعبق الجو بعطر إنْ ذُكرْتِ ... إن ذكراك كأنفاس الزهورْ

الراحل الصغير

بدت الشمس من وراء السحاب ... بشعاع كمسجد خلاّبِ
ملأ الأرض بهجة وضياء ... وكسا الكون حُلة الإعجابِ

* * *

سطع الضوءُ من جبين صغير ... وتوارى.. !! فما له من مثابِ
حيث أن الصغير قد غادر الكو ... نَ .. وولى فما له من مآبِ
ذهب اليوم ، كي يعيش ويحيا ... في ثنايا النفوس بعد الذهابِ
مثل زهر يرفّ بالعطر حينا ... في رؤوس الربا وشمّ الهضابِ
ثم يذوى النضار منه ويفنى ... في رياض الجمال غضّ الإهابِ

* * *

في ربيع الجمال عاش صغيراً ... فغذانا بحسنه الغلاّبِ
وقضى عاجلا ، ولمّا يتفتّحْ ... وتوارى بظلمة الأحقابِ
مات .. لكنني أراه بنفسي ... مُرسلا ضوءه كنور الشهابِ
ما خبا ضوؤه ، ولكن جسما ... منه أضحى ينام تحت الترابِ

* * *

لم يكن لحده التراب .. ولكن ... كل قلب له فسيح الرّحابِ
كل قلب غدا «لمختار(١)» لحدا ... من قلوب الصحاب والأحبابِ

* * *

هو طفل .. وإنما هو عندي ... درة فقدُها عزيز المصابِ
موته ضاعف الهموم بقلبي ... فسرى الحزن حتى في أعصابي
فهمى الدمع داميا وسخينا ... سال دمعي لقسوة الأوصابِ

---

(١) مختار بن محمد عبد اللطيف واكد مات في عام ١٩٣٥ وكان في عامه الأول.

كان ذا بسمة تضيء فتمحو كل حزن وشقوة واكتئاب
وله فى عيونه الرّزق سحر يسكر النفس مثل سحر الحباب
كان ذا فتنة تزول وتفنى عندها فتنة الحسان الكعاب
ذهب الحسن بعده وتوارى فى ظلام القبور خلف حجاب

* * *

كل حىّ يموت مهما تمادى عمره .. فالحياة مثل السراب
عظم الله أجرك اليوم فاصبر يجزك الله يا أخى بالثواب

يوم الفقير

المغفور له سعادة عبد اللطيف واكد بك عميد عائلة واكد بالشرقية ، وعم الشاعر ، وعضو مجلس الشيوخ عن دائرة كفر صقر ، أنشأ فى أخريات سنيه مستشفى ومسجداً وداراً لتحفيظ القرآن ، وكان على وشك إقامة حفل لافتتاحها جميعاً ، لولا أن قعد به المرض عن ذلك وقد أعدت هذه القصيدة لتحيته فى الحفل الذى كان مزمعاً أن يقام :

توّجتَ هامك بالجليـــل الأعظم
إذا شدتَ للأفضال صَرْحاً .. فأنْعَم
أحسنتَ ياعمـــاه صُنعاً .. فانتظر
خـــير الجزاء من العزيز المنْعِم ..
سِرْ فى طريقك .. سدّدَ الله الخُطى
هذا طريق فيه خـــير المغْنَم
واعلم بأن الخيرَ كلّ الخير فى
عَوْنِ الفقـــير البائس المتهدّم ..

* * *

ماذا يَضير ذوى اليسار إذا هم
نشروا الظلال على الفقـــير المعْدِم ؟
ووقـــوه من لفحات دهر قُلّب
يُعطيـــه ما يعطيـــه بيعاً بالدّم

عرق الفقير طعامه وشرابه
فحياته تبدو كنار جهنم
لم يلق يوماً راحة فى داره
أو سعيه ، أو فى جوار النوّم
قالوا الحساب . . . فقلت كيف لصابر
لنسيم هذا الكون لم يتنسّم
أيحاسَبُ المغبون ؟ كيف حسابه ؟
والدهر حاسبه حساب الأرْقَم ؟
جعل الشقاء مُقيداً لمصيره
فمصيره بين الشقاء كمعْصم !
وُضِعتْ به الأغلال فهو رهينها
باللاهين الصاغر المستسلم
تلتابه الأحداث وهو فريسة
فى كل فادحة النوائب يرتمى
بَرِمَتْ به الدّنيا فأصبح لا يَرى
أنّى توجّه غير كل تجهّم
فالمشْرِق الضحّاك مكتئب له
والمغرب البسّام لم يتبسّم
هو فى ظلال الفقر يسعى مثلما
يسعى الجبان بتلب ليل مظلم
فالوحشة النكراء فى وَهَج الضحى
تلقاه فى عَتَمٍ بدون تَرَحّم

والجوع والأمراض . كم فتكت به
وغذاؤه الحرمان مُرّ المَطْعَمِ
ومن الغريب تراه فى شقواه لم
يشك الشقاء ، ولم يُثر لتبرّم
لكأنه بين الخلائق زاهـــد . .
قد طلّق الدنيا .. ولم يتندّمِ

* ° °

يا قوم تلك حقيقـــة أحسستها
بشعور فنان . . وحكمة مُلْهَمِ
فصلوا الفقير بنعمة أعطيتمو
ها من لدن رب الفقير الأكرمِ
تُجزَوْنَ خيراً فالفقير أخوكمو
من بطن حواء . وفطفة آدم
لا فرق بينكمو وبين حضيضه
غير الثراء ... وتلك حكمة أحكمِ
للسائلـــين بمالكم حق كما ...
تقضى ديانة كل فرد مُسلمِ

* ° °

عماه هذا اليوم عيد إذ أرى
حشداً كمن بين الحطيم وزَمزَمِ
هذى وفود ذويك والقـوم الأولىَ
فى «سنحها» قطنوا ومن لك ينتمى

جوا إليك ليشكروا لك منة
كبرى . . على الفقراء والمتيتم
هذى المؤسسة التى أنشأتها
لعلاج ممروض وَدَرْءِ تألم
يا قوم . . هذى نفحة عَلوِيّة
جاءت لأدواء النفوس كبلسم
يا قوم هذا شيخكم فاوفوا له
ولتقتدوا بالسيد المتقـــدّم
ولقد أنبتُ اليوم نفسىَ عنكمو
لأصوغ من قلبى الطروب المفعم
آيات شكر بالصدور تجاوبت
أصداؤها فغدت قـوام تَرَنمى
فلعلنى أوفيتُ . . . أو فليغتفر
ليراعتى بعض التقاعُس لُوّمى

أنشودة الراعي

وينْ .. وينْ .. يارب يا موجود .. !!

يا خالق الخلق ومدبّرْ مصالحهم
ورازقْ الناس ، عاصيهم وصالحهم
ليشْ الخليقة اتنشت يا ربْ إيشْ بتريدْ !
منْ خلقنا للعدمْ يارب يا موجود .. ! ؟

☆ ☆ ☆

سرّ الخليقة إيشْ ، سرّ الحياة والموت ؟
الناس ليشْ تتولدْ ، ليش ياترى بتموت ؟
والدنيا ماشية كما هي ، والسنين بتفوت
والسرّ ما بنكشفْ والناس ما بتعرفْ
ليشْ الخليقة اتنشت يارب إيش بتريدْ ؟

☆ ☆ ☆

بينْ الوجود والعدمْ ، يارب طرفة عين ..
بينْ الضلال والمدى خطوهْ مفيش اثنين
إحترت يا ربْ والرشدْ ألاقيه وينْ
وكلّ عقلي من التفكير وما بعرف ؟
ليش الخليقة اتنشت يا ربْ إيش بتريدْ ؟

☆ ☆ ☆

هادي الشواهي وعشب الأرض مرعاها
والغيثْ للشـــــاه موردها ومرواها

وفى النهـــاية تراب الأرض مثواها
م الأرض جينا وفيها كُلّ شَىْ بيْعُود
ليش الخليقة اتنشتْ يارب إيش بتْريد
مِنْ خلْقِنا العدم يارب يامِوجود . . ! !

* * *

ياخالق الخلقْ ومدّبر مصالحهم . . ! !
ورازق الناس ، عاصيهم وصالحهم . . !!

نشيد أبى الهول

أبا الهول ، يارمز مجد الأوَلْ
ويا مُبدع الصمت مُنذ الأزل
تبسّمتَ منذ شروق الزمان
وهـــذا ابتسامك لمّا يَزَلْ
أتبسم سخرية بالدهـــــور . .
أم انّ ابتسامك وحى الأملْ
شهـــدت الجيوش تقيم العروش
وتهدمهـــا فى صراع الدول ..
ويفنى الجميـــع ويبقى الزمان
وأنت له رابض كالجبـــــلْ
تذكّر أبنـــاء هذى البـــلاد
بما فى صحارى الزمان ارتحـــل
كأنك خوفو على نيـــله
يقوم ايرعى التراث الأجـــل
وفى أنفك الأقطس العبقـــرى
على غيرة الغرب أقوى مثل
أرادوا لك الهـــدم حتى تزول
معـــالم مجد عظيم جلـــل
فـــلم يستطيعوا سوى نُدبة
بأنفك ظلت دليل الفشـــل
فقم للبـــلاد رفيع العماد
وكنْ فى بليك وطيدَ الأمل

أشباحٌ وظلال

والأصنام تحطمت

ألفت الثورة الألقاب ، وهتكت الستار عن تلك الطبول الجوفاء ، عظماء العهد الماضى . . . فكتب الشاعر . . .

رَدِّدْ معى أيها الملاّح الصغير . .
فى زورقك المتأرجح على صفحة النهر الخالد . . !
نهر النيل العظيم ، الذى اندفع فى طغيان الجبابرة . .
يحطم معاقل الظلم ، ليطلق الحياة فى الوادى المقدّس . . !!
رَدِّدْ معى أيها الملاح الصغير ، أنشودتنا الجديدة . .
وارسلها منغّمة على صفحة اليَم . . !
لكى تسرى مع مائه ، من منبعه إلى مصبه . . !!
رَدِّدْ معى : لقد تحطّمت الأصنام . . والأنصاب . .
وباء المفسدون فى الأرض . . بالخيبة والفشل . . !!
وتحرر العبيد ، من المعاقل والقيود . . !!
ولم يبق فى الكنانة سيد ولا مَسُود . . !!
ولم يعد أحد يسمع صلصلة الأغلال . . !!
إلاّ الخونة ، والذين أفسدوا فى الأرض . . !!

* * *

وأنت أيها الزارع الكادح ، تحت أشعة الشمس المشرقة المحرقة . .
لقد أشرقتْ عليك أضواء جديدة . . !
وصار عرَقك الذى يتصبب به جبينك . .

حلالا لك ، حراما على غيرك ..!
ولم يعد جهدك المبذول .. طُعمة لأولئك السفاكين . . !!
الذين استمرأوا العيش على امتصاص الدماء .. !!
فلك أن تلفت الأرض ، بمعولك وأنت طروب . . !
لكى تحصل على ماتريد . . وقتما تريد .. !!
فلن يقاسمك أحد بعد . . قسمة الأسد .. !!
رَدِّدْ معى أيها الزارع الكادح . .
لقد تحطمت الأصنام والأنصاب .. !
وباء المفسدون فى الأرض ، بالخيبة والفشل .. !!
ولم يبق فى الكنانة سيد ولا مَسود .. !!

* * *

وأنت أيها العامل فى مصنعه . .
تكتوى بنيران الأفران ، تصهر الحديد . . !
تصنع الذهب ليبعثره الطغاة على الموائد . . !!
وينثره الفسقة تحت أقدام الغوانى ، فى مواخير الفُجور . . !!
وأنت لاتجد حتى الخبز الجاف ، تسد به الرَّمق . . !
وتقضى الشتاء بثوب مُهَلهَل .. !!
كأعراض البغاة ، الذين يمتصون دمك . . !!
وإذا ما تبرَّمْت . . كان نصيبك السجن والتشريد ..!!
رَدِّدْ معى أيها الشقى التعس . .
لقد تحطمت الأصنام . . . . والأنصاب ..!
وباء المفسدون فى الأرض .. بالخيبة والفشل . . !!
ولم يبق فى الكنانة سيد ولا مَسود ..!

أيها الرّفاق .. الذين اكتووا بنيران الظلم والطغيان .
أيها الملاح . . والزارع . . والصانع .. !
نحن جميعاً إخوة، نشرب من نيلنا الخالد المقدس ..!
ولنا الحق أن نحياحياة كريمة . .!!
ضيّعها علينا — حينا من الدهر — المفسدون . . !!
أولئك الذين تيقظت أشباح ماضيهم . .
وأخذت تطاردهم، فى النوم واليقظة.. !
فصاروا يخشون القصاص . . !!
قصاص السماء، للأبرياء . . من المتجبرين السفهاء . . !
رَدّدُوا معى ، بقلب يملؤه الحبور والطرب .. !
لقد تحطمت الأصنام .. والأنصاب. !
وباء المفسدون فى الأرض، بالخيبة والفشل ..!!
ولم يبق فى الكنانة سيد ولا مَسود.. !!!

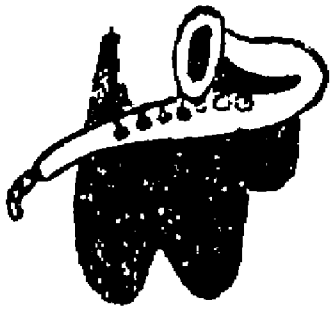

ظلال الموت

« قضت عليه الظروف أن يقيم فى مقبرة من مقابر الفراعنة بين جماعة من أصدقائه ، هروبا من طائرات الطليان فى واحة سيوه ، وفى خلال هذه الفترة سجل خواطره .. »

إذا ما دفع القدر بالإنسان إلى حافة الهوّة السحيقة .. !
التى يتردّى فيها أبناء البشرية التعساء . . !
وأحسّ أنه من نهايته قاب قوسين . . . أو أدنى . . !
تراءى له ماضيه البعيد . . .
زاهراً . . . ضاحكا بِشراً وحياة . . !
وتكشّف عن أحلام كانت بهيجة . . .
فيتمنى القلب أن لو يعود . . .
ذلك الماضى البعيد . . .
بما كان فيه من أحلام وآلام . . !!
فآلام الحياة ، أجمل من سكون الفناء . . !

* * *

إن أحلام المستقبل عند مَنْ يُحس الفناء . . .
كأشباح الموتى باردة . . !
ليس فيها دفء أو حياة . . .
باردة كالثلج . . .
فى ليل يلفه الظلام الدامس ، بعباءته القاتمة . .
فلا تكاد تتمثل العين ، حتى يبتلعها الليل بظلمته الحالكة . . !!
فيتعذّر على المرء أن يتحقق فيها شيئاً . . . !
إذ أنها آمال ميتة . .

وأحلام باهتة فانية . . !
تبدو وكأنها ملفوفة فى غلالة من الضباب الكثيف . . .
كما تتلفع الأشلاء المفككة الأوصال، بما يجمعها من أكفان ..!
ولكنها رغم ذلك كله ، تظل كسحب الصيف . . .
لاتكاد تتلاحم حتى تتبعثر . . . !!
وتبدو بينها فجوات فسيحة .. !!
يجتهد ذلك الإنسان الذى قَرُبَ فناؤه . . . !!
أن يسدّ هذه الفجوات. . . ولكنه لايستطيع . . .!!
إذ هى صور تتلاحق ، وتمضى ، فى غير انتظام . . . !!
دون أن تترك فى مخيلته أقل الأثر ! . .

* * *

نحن ياصديقى أحياء فى عداد الموتى .. .!!
فى بيوتهم نقضى الليالى والأيام . . . !!
إذ أخرجنا العظام النّخِرَة من مقابرها . . . !!
واتخذنا من مراقدها التى كانت فيها مستقِرّة آمنة . . .!!
مستقَرّا لنا ومقاما . . .!!
فما نحن الآن إلاّ موتى . . !!
تتردّدُ فى صدورهم بعض الأنفاس الواهِنَةُ، فى هدوء وحذر .!!
وقد أطبق عليهم ظلام المقبرة.. !

* * *

ولقد تبدّلتْ حياتى تبدلا عجيباً حقاً . . .
إذ رَغْم مايتهدّدنا من خطر مفاجىء ...
ربما يقضى علينا . . .

أنام ملء جفنى . . .
وأنعم بأحلام بهيجة . . .
لايخالجنى أقلّ شعور بالخوف . . !
وهذه ظاهرة يحسدنى عليها الرفاق . . . !!
فنحن ثلاثة من الموتى الأحياء . . !!
نسكن مقبرة من مقابر القدماء . . !!

* * *

وكم يا صديقى أن خطراً داهمنا ونحن نيام . .
فسنقضى . . . دون أن نستيقظ . . .!!
ولن يحاول أحد أن يوقظنا . !
وسيظل كل منا فى مستقره .
مضطجعاً ضجعة الموت . . !
وفراشه الذى كان ينام عليه حياً . . .!!
هو لحده الذى سيضم رفاته فى جوف الأبدية . !

* * *

إذن فكل منا يرقد فى مستقره الأخير ، فى ظلام المقبرة . .!!
ولن نتألم . . . لأننا لن نستيقظ . . . !
وإذا لم نُصَب بضُر . .
فستنفض فى الصباح الباكر رداء الوَسَن اللذيذ عن كواهلنا الفتية . . . !!
وفى ذلك لن نتألم أيضا .
فليس الألم إذَن فى حياتنا حساب . . .!!
والألم هو كل مايخشاه الإنسان . . !

العابدة

حياة امرأة صيغت من عطر ولهب

— ١ —

نظرت الى تمثالها ، فراعها أن رأت ظلها يتجسد .. وينتصب واقفا على قدمين ، وكأنه صيغ من نور ، تجرى فى أوصاله الفتنة.. وتتناثر من حوله ! . .

وحدقت فيه بتمعن ، ثم خطت نحوه كالمسحورة ، تحاول لمسه.. ولكنها توقفت على غير إرادة منها ، فقد طالعتها صورة فى المرآة !

لقد راعها أن ترى نفسها فى جسدين ، وراعها أيضاً أن تضل ، فلا تدرى أيهما هى !

ولمحت ، وهى فى غمرة ذهولها ، بسمة على ثغر ، من فوقه عينان ترنوان اليها فى إعجاب .. إنها بسمة الفائز المنتصر.. بسمة صاحبها الذى تجسد شعوره نحوها ، فصاغه منها امرأة ثانية ..!!

لقد سكب فنه على حفنة من تراب أبيض ، لا بل سكب أحاسيسه على فنه ، فسرت فى الذرات الدقيقة ، حرارة وحياة ، وتجمعت ، ومن مراقدها قامت متماسكة ، منتصبة فى محراب الحب والفن . . أمرأة عارية . . كالتى تعيش فى إهابها . . !

وأعادت المرأة فى جسديها النظر ! . .

وإذ وقفت على منابع الفتنة منها ، أدركت أن الفن وحده يعجز عن أن يجىء بكل هذه الروعة . . . ! !

فأنوثتها الحية المتدفقة ، ومفاتنها التى تبعث الإلهام ، هى القادرة وحدها على إحداث المعجزات ، فلقد صيغت من نور ونار.

إن جمالها انسكب فى نفس الفنان خمراً، فشمل به روحا وجسداً، وخيالا. ثم عبر بلغته التى وُهِبَ القدرة عليها من السماء، فكان لها هذا الجسد الثانى، الذى إن قُدِّر له أن يفوق جسدها الحى فى شىء، فليس إلا فى قدرته على البقاء، ومصارعة الفناء . .!!

إنه سيبقى إلى الأبد . . يُحدِّث عن جمالها، ويهمس فى أسماع الأجيال المتعاقبة، بعدما تكون هى قد عادت حِفنة من تراب . .!!

— ٢ —

وداخلها غرور عجيب . . غرور المرأة وقد آمنت بفتنتها، واقتنعت بأنها نبع فياض، قد اغترف الفنان منه إلهامه، فربح الفخار، واستحق أن يكلل هامه، بالغار .

وثارت فى أعماقها أحاسيس ومشاعر، أحاسيس الفتنة تتدفق فى أوصالها، فباركت جسدها فى إعجاب، وراحت ترقص رقصة التمجيد . . لا للفن والفنان . . بل لمن ألهم الفن فريدته الخالدة

وغمرها الطرب، والغرور، والسرور، وانتشت نفسها فأضحت ثملة، لا ترى إلا جمالها الجبار، الشرس، العربيد، الذى يَستذِلّ القلوب، ويفتن النهىَ، ويوحى بكل جليل خطير . . فأخذت تغنى أنشودة الحياة . .!!

ورفعت ساعدين كالعاج الأبيض، ومدت يدين كالمرمر، وتحسست شعراً كسجف الليل الغامر، وراحت تغرد وتردد :

شعرى كالليل الفاحم، يحوط وجها كإشراقة القمر، تنعكس أشعته على النفوس المظلمة، فتضىء بنور الحق، وجلال الإيمان . .!!

وهذا جبينى كالهلال فى أفق حالك، يبعث إشعاع الرضا، والطمأنينة، ويستهوى كل فؤاد جموح، طموح . . كما تستهوى

الشعل فراشات الليل.. ويزرع فى القلوب الأحلام التى ليس لاقتطاف ثمارها من سبيل .. فهى أحلام برية نبتت فى أودية الخيال..!!

* * *

وعيناى..عيناى ما أجمل ما تفيضان به من سحر وفتنة ، وما أفتك أسهمهما التى لا تخطىء الهدف . . فلكم أدمت قلوباً ، وخلفت جراحا لا تندمل. .إن فى أعماق عينى يكمن النعيم والجحيم، معاً..!!

إنهما بحيرتان عميقتان تزويان الظمأ، بابتسامهما المحبب لكل قلب . . .

وتظميان كل ريان ، إذا ما حدّق فيهما ، وحرمتاه الحنان . . .

* * *

وشفتاى ما أجمل أن يبتسما . . .

إنهما الطريق إلى قلبى...وعليهما تترجم رسائله إلى قبلات.. وبسمات . . .!!

وإذا أسلمتهما لعابد متبتل ، افتتن ، وارتدّ من عبوديته، إلى عبودية أخرى قاسية لا ترحم . . . !

منهما يقطر العطر والخمر معاً.. وفيهما تكمن الأغلال ، فتوثق إلى جانبى فى ذلة العبيد ، كل من ارتشف منهما الرضاب مرة ..

إنه لايجرؤ على المسير، بل يظل إلى جوارى كالأسير ، لا يحاول الفكاك، ممنيا نفسه بكأس كالتى سعد بها أول مرة .. . ولكن هيهات .. هيهات ... ! !

* * *

ورفعت أهدابا كالظلال ، فى بطء تمثل بالفتنة، فقد تعشقت نفسها، وهامت بما وهبت من جمال ، فرأت خدّيها كالوردتين ... فيا لروعة هذه الوجنات ، إنهما ورود فى جنات . . . إن جمراتهما دائما يزرعها الخجل ! . .

* * *

ومست بيدها جيدا كالشعاع . . .

إن كل ساعد أسعده القدَر ، فطوقه لحظة من لحظات العمر ، سيظل يفخر مدى الحياة بأنه التفّ حول جيد من البلّور ، قد صيغ من نور . . .

وانحدرت يداها تتحسسان صدرها الناهد الرجراج . . . إن فيه من الإحساس والأنفاس، ما لو صافح وجه رجل لألهب نفسه وحوّله إلى ضرام ...

إنها تشعل الرجال فيحترقون فى الأعماق ، ويظلون فى احتراق إلى أن تذوب منهم القلوب وتفنى . . .

إنها امرأة مزيج من عطر ولهب !

* * *

وهذان النهدان النافران فى براءة الأطفال وتمرّدهم . . . إنهما كالشهد المصفّى . . . وفيهما قوة الزئبق وليونته . . . إنهما لا يعرفان المداورة ، بل يعلنان الفتنة جهارا ، ويزرعان اللوعة فى الصدور . . . إنهما مستودعان للاسرار التى تذيب نفوس الرجال . . .

وجعلت تدور حول خصرها الدقيق براحتيها الناعمتين ، فالتوى الخصر فى إغراء ، وتثنّى فى فتنة . . . وبرز منها عجز

يريد أن ينفصل ، وخطت إلى الأمام ، فكانت جمالا يخطو نحو جمال ، وفتنة تسير لكى تواجه فتنة . . .

— ٣ —

واختلط عليها الأمر ، فلم تدر أتذهب نحو المرآة أم تجاه التمثال ؟ . .

ووقفت كإلاهة فى محراب ، ثم ركعت على ركبتيها وراحت تتلو الصلوات . . . ودارت بها الدنيا فلم تنهض . . . وكأنما ثمل التمثال بفتنتها هى . . . فحنا عليها وأراد أن يرد لها التحية ، فراح يرقص من حولها كما رقصت هى من حوله . . .

إنها تعبد تمثالها وتمثالها يعبدها . .

إنها إلهة عبدت نفسها فى محراب الجمال . .

وأفاقت من غشيتها على صوت قهقهة عالية ، وتصفيق حاد ...

إنه صاحبها يعلن انتصاره فى . كات مجلجلة ، ولكنها ذُعرت لأنه قد تغيّر ... فقد كان يحب أن ترقص له وحده ، بين جنبات هذا المعبد ، فما باله قد جمع من حوله لفيفاً من أصدقائه ، وأباح لهم أن يشهدوها راقصة عارية . . .

وأجفلت .. وانقلبت امرأة أخرى ، قد داهمها خطر وقامت لتدفعه ، وكأنما كانت عمياء عندما قفزت فوق المائدة من جديد ، وراحت ترقص كالمجنونة ، وفى يدها كأس من الخمر . . . ولكنها صُعقت عندما تلفتت حولها ، فوجدت الأنظار منصرفة عنها ، متجهة إلى النبع الآخر الذى يتفجر منه الجمال والفن معاً ... فثار فى صدرها حقد أعمى ، وكانت الكأس التى بيدها لما تزل بها بعض

البقايا ، فقذفت بها فى وجه ذلك الغريم، الذى لم يكن إلا تمثالها.. فانحطم الكأس ، وتهاوَى نثاره عند قدميه ، أما هو ، فقد ظل قائماً يبسم فى تحدّ ، وسرعان ما قفزت من مكانها فى خفة النمر ، وقد التوى جسدها كالأفعوان يتحفز ، وتقدمت فى خطوات حاقدة نحو الغريم الذى انتزع منها حبيبها وإعجاب الحاضرين . . . غريمها الساخر من جمالها ، المنتزع لجلالها ، وخطت كالذى يترصّد ، وقد اعتزمت أمراً . . . وفجأة هوت بالتمثال فانحطم . . .

وراحت تقهقه فى عربدَة مخيفة . . . إنها لاتريد أن تقوم فى محرابها إلهة ثانية . . .

فهرس

الإهـــداء ٥
مقدمة .. أقداح ٦
نشيد الماضى ٧
أحـــلام ضائعة ٩
الساحـــر ١١
ريبـــة ١٢
خريف الجمـــال ١٢
أتركينى ١٣
ابتسام مريب ١٤
وادى الجحيم ١٥
حظى ١٦
الحـــرمان ١٧
العـــودة ١٩
تعـــالى ٢٠
عـــلم ٢١
هـــلا وفيت ٢١
أطيـــاف ٢١
ذات مساء ٢٢
ذكرى غـــرام ٢٨
نفس حـــيرى ٢٩
الخـــريف الباكى ٣٠
ضحـــك وبـــكاء ٣١
حسرة ٣٢
مـــولدى ٣٣

المعطف المحسود ٣٤
عيون ٣٥
الخاطئة ٣٦
الدموع الباسمة ٣٦
من كهف الذكريات ٣٧
قديسة المحراب ٣٧
نظرة عابرة ٣٩
حب وحرب ٤١
سراب ٤٣
رهبة الجمال ٤٧
نار ونور ٤٩
معنوية الحب ٥٣
أحزان قلب ٥٥
كأس وكأس ٥٧
أغنية الربيع ٥٩
فلسفة المحرمات ٦١
قدسية الحب ٦٢
عتب ٦٥
سحب وغيوم ٦٩
داء ودواء ٧١
السعادة ظلال ٧٣
جبروت الحب ٧٤
نعمة الحب ٧٧
جلال الحب ٧٩
ألحان الخلود ٨٢
قديسة المحراب ٨٤
نقمة الحب ٨٧

الشاطىء المجهول ٨٩
حداء القافلة ٩١
ثورة النيل ٩٣
نغمة الحرمان ٩٥
صائد المجد ٩٧
الشاردة ٩٩
تكريم ١٠٠
عروس ١٠٣
حرب الزمان ١٠٤
المبضع الميمون ١٠٦
مشيي ١٠٧
ميكروب الكوليرا ١٠٨
قريتي ١١٠
رياض ١١٢
الراحل المجد ١١٦
موت زهرة ١١٧
الراحل الصغير ١١٨
يوم الفقير ١٢٠
انشودة الراعي ١٢٤
نشيد أبي الهول ١٢٦
أشباح وظلال ١٢٧
والأصنام تحطمت ١٢٩
ظلال الموت ١٣٢
العابدة ١٣٥